ثانيًا :

التفسير وعلوم القرآن

الإخبات في القرآن الكريم

دراسة تفسيرية موضوعية

إعداد

د. ربيع يوسف شحاته الجهمي

أستاذ مساعد في التفسير وعلوم القرآن

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية

للبنات بالإسكندرية

جامعة الأزهر

ملخص البحث

يأتي هذا البحث: (الإخبات في القرآن الكريم دراسة تفسيرية موضوعية) ليبين: أن مشتقات لفظ "الإخبات" التي وردت في كتاب الله تعالى، ولم تتعد ثلاث آيات وجزأ من آية، قد تضمنت إعجازا في النظم، وكمالا في الموضوع، وفيضا من المعاني، وسيلا من الهدايات.

وليبين أن القرآن الكريم قد نقل لفظ "الخبت" من ذلكم الاستعمال المادي الخالص (السهل أو الوادي الواسع، المطمئن من الأرض) إلى استعمال معنوي خالص، فأضحى لفظ "الإخبات" حقيقة شرعية في كثير من معاني القلوب؛ فأعطاه القرآن بُعداً جديداً، وأضفى عليه ظلالا من المعاني والدلالات؛ حيث دل على: "الخشوع، والاطمئنان، والتواضع، والتضرع، والإخلاص، والإنابة، والخوف، والخضوع".

وليبين أن منزلة الإخبات (عمل القلوب) من الإيمان كمنزلة القلب من الجسد، وأن العلاقة بين الإيمان وعمل القلوب علاقة تلازم حقيقي. وأن أهل الإخبات ليسوا مطلق العلماء، وإنما هم أهل الطبقة العليا منهم؛ أهل العلم بالله تعالى، العارفون به سبحانه، الراسخون في العلم.

وليبين أن منزلة المخبتين عند الله تعالى عظيمة، ولعظمها وصفهم سبحانه بأربعة أوصاف؛ جمعت أصول العبادات، بأبلغ أسلوب وأوجز عبارة، وأنه سبحانه تفضل عليهم فوعدهم بالجزاء العظيم في الدنيا والآخرة؛ فضلا منه تعالى وكرما.

Research Summary

This research comes as follows: (AL-EKHBAT in the Holy Quran is an objective interpretive study) to show:

That the derivatives of the word "EKHBAT" mentioned in the book of God, and did not exceed three verses and part of the verse, has included miracles in the systems, and perfection in the subject, and in a sense, and a flood of Hidayat.

It is clear that the Holy Quran has transferred the word "khibt" from that pure material use (the plain or wide valley, which is reassuring from the earth) to pure moral use, so the word "ekhbaat" became a legitimate truth in many meanings of the hearts. The Qur'an gave it a new dimension, The expression of the meanings and connotations; as evidenced by: "reverence, reassurance, humility, supplication, sincerity, acting, fear, submission."

And to show that the status of the sacraments (the work of the hearts) of faith as the status of the heart of the body, and that the relationship between faith and the work of hearts is a real correlation. And that the people of faith are not absolute scholars, but they are the people of the upper class of them; the scholars of God Almighty, who know him Almighty, firmly rooted in science.

And to show that the status of the (AL-MOKHBTEEN)of God Almighty, and the Almighty described them Almighty four descriptions; collected the assets of worship, the most method and summarized the words, and that Almighty favors them and promised them the great punishment in the world and the Hereafter;

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد ..

فالقرآن الكريم هو كتاب الهداية والإعجاز، الذي لا ينضب معينه، ولا تنقضي عجائبه، ولا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يخلق عن كثرة الرد، ينهل منه العلماء فلا يشبعون، ويغرف منه الأتقياء فلا يملون، تجلت هداياته في كل جانب من جوانب الدين والحياة، فلا ترى بابا إلا أتمه ووفَّاه؛ مهما قلت آياته وتفرقت بين ثناياه؛ تحقيقا لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء: ٩]، وقوله تعالى: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾ [الأنعام: ٣٨].

ولما كان القرآن الكريم هو ملاذ الدين الأول، ودستوره العظيم، ومعجزته الباقية إلى يوم الدين؛ أولى علماء الأمة عنايتهم به من يوم نزوله، حفظا وتدبرا، وفهما واستنباطا، وعملا وتطبيقا.

وكان من مظاهر تلك العناية: عناية المفسرين قديما وحديثا بموضوعاته؛ إذ بحثوا فيها، ونظروا في سياقاتها ومناسباتها، وحللوا معاني ألفاظها ودلالاتها، ليستنبطوا أحكامها وهداياتها؛ فجاءت هذه العنايةُ أصلا أصيلا للاستنباط الدقيق، والوقوف على مقاصد القرآن الكريم وحِكَمِه وأسراره.

إن سلوك هذه العناية منهم لم يكن سمحًا مستسهلا؛ بل كان شديدَ الطِّلَاب وعرَ المرتقى؛ لاعتماده على أدواتٍ كثيرةٍ مختلفة، وحِسٍّ مُرهَفٍ وذائقةٍ صافية، وسَعةِ اطلاعٍ وتوثُّقٍ وتدبُّرٍ.

وقد تأملت آيات الإخبات في القرآن الكريم، فلمست فيها – على قلتها – فيضا من المعاني، وكنزا من الأسرار، وسيلا من الهدايات، مع كونها لم تتعد ثلاث آيات وجزأ من آية، فاستعنتُ بالله تعالى وتوكلت عليه عازما على الكتابة

فيها، وجعلت البحث بعنوان: **(الإخبات في القرآن الكريم دراسة تفسيرية موضوعية)**.

أسباب اختيار الموضوع: كان من أهم أسباب اختياري هذا الموضوع: توفيق الله تعالى ومشيئته العلية، ومحبة خدمة كتاب الله تعالى، والرغبة في إثراء المكتبة القرآنية؛ إذ لم أجد بعد البحث والتدقيق من تناول هذا الموضوع في درسنا القرآني المعاصر؛ ولا أبان عن جوانب الهداية فيه.

خطة البحث: قسمت هذا البحث إلى مقدمة، وتمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة، على النحو الآتي:

المقدمة: وفيها أهمية الموضوع وسبب اختياره، ومنهج البحث فيه.

التمهيد: حقيقة الإخبات في لغة العرب، ودلالاته، ومواضعه في القرآن الكريم.

المبحث الأول: منزلة الإخبات من الإيمان.

المبحث الثاني: أهل الإخبات في القرآن الكريم

المبحث الثالث: صفات المخبتين في القرآن الكريم.

المبحث الرابع: جزاء المخبتين.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

ثم ثبت المصادر والمراجع.

منهج البحث:

اتبعت في هذا البحث منهجين هما: الاستقرائي والتحليلي، حيث جمعت الآيات الكريمة في موضوع الإخبات، وصنفتها على حسب موضوعها. وقمت بدراستها دراسة تحليلية موجزة، تظهر وجه الاستدلال بها في موطنها الذي ذكرت فيه، وتبرز وجوه الهداية القرآنية فيها. وراعيت أثناء ذلك ما يأتي:

١- عزو الآيات القرآنية الكريمة إلى سورها.

٢- تخريج الأحاديث النبوية والحكم عليها، وكذا تخريج الآثار.

٣- ترجمة الأعلام غير المشهورين ترجمة موجزة.

٤- التوفيق بين الآراء ما أمكن ذلك.

٥- توثيق النقول والتعليق عليها عند الحاجة لذلك.

٦- إبداء رأيي مؤيدا بالدليل حين يحتاج الأمر لذلك.

والله تعالى أسأل أن يتقبل هذا العمل بقبول حسن، وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم، وأن يعفو عن تقصيري وزللي، فإني بشر أصيب وأخطئ، فما كان من صواب فمن فضل الله تعالى علي وكرمه، وما كان من خطأ فمن نفسي، ويعلم ربي أني ما تعمدت التقصير، وحسن ظني في الله تعالى أن المجتهد مأجور على الحالين، ﴿ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ ﴾ [هود: ٨٨]. والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بدمنهور العدد الثالث المجلد الخامس ٢٠١٨م

التمهيد

(حقيقة الإخبات في لغة العرب، ودلالاته ومواضعه في القرآن الكريم)

أولا: حقيقة الإخبات في لغة العرب:

الْخَاءُ وَالْبَاءُ وَالتَّاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، مِنَ الْخَبْتِ. والْخَبْتُ عربيَّةٌ مَحْضَة، وَهُوَ مَا اطمأَنَّ من الأَرْض[١] واتسع، والجَمْعُ: أَخْبَاتٌ، وخُبوتٌ. وقيل: الخَبْتُ مَا اطْمَأَنَّ مِنَ الأَرض وغَمُضَ، فإذا خَرَجْتَ مِنْهُ، أَفْضَيْتَ إِلى سَعَةٍ. وقيل: الْخَبْتُ مَا اتَّسَع من بُطون الأَرْض. وقيل: الْخَبْتُ سَهْلٌ فِي الحَرَّة[٢]. وقيل: هُوَ الوَادِي الْعَمِيقُ الوطِيءُ، مَمْدُودٌ، يُنْبتُ ضُروب الْعِضَاهِ[٣]. وقيل: هو الخفيُّ المطمئنُّ مِنَ الأَرض، فِيهِ رَمْلٌ. وقيل: هو الْمَفَازَةُ لَا نَبَاتَ فِيهَا، وَمِنْ ذَلِكَ الْحَدِيثِ: «**وَلَوْ بِخَبْتِ الْجَمِيشِ**»[٤]، قال ابن فارس: "أَلَا تَرَاهُ سَمَّاهَا جَمِيشًا، كَأَنَّ النَّبَاتَ قَدْ جُمِشَ مِنْهَا، أَيْ حُلِقَ"[٥]. ويقال: أَخْبَتَ الرّجل: قصد الخَبْتَ، أو نزله، نحو: أسهل وأنجد، أي قصد السهل أو نزله، وقصد نجد أو نزلها. وأخبت القوم: صاروا في الخبت مثل أصحروا[٦].

---

(١) المطمئن من الأرض: هو المنخفض منها. يراجع: العين: ٧/ ٤٤٢، ولسان العرب: ١٣/ ٢٦٨، وتاج العروس: ٣٥/ ٣٥٧. مادة: (طمن).

(٢) الحرة: هي الأرض المنبسطة ذات الحجارة السُود كأَنَّها أُحرِقَتْ. يراجع: لسان العرب: ٤/ ١٨٠، ومختار الصحاح: ١/ ٦٩، مادة (حرر).

(٣) العضاهُ: اسْمٌ يَقَعُ عَلَى شجر من شجر الشوك لَهُ أَسماء مُخْتَلِفَةٌ يَجْمَعُهَا الْعِضَاهُ، وَاحِدَتُهَا عِضاهةٌ، وإنما العِضاهُ الْخَالِصُ مِنْهُ مَا عَظُمَ وَاشْتَدَّ شَوْكُهُ، وَمَا صَغُرَ مِنْ شَجَرِ الشَّوْكِ فإنه يُقَالُ لَهُ العِضُّ والشِّرْسُ، فَمِنَ العِضاه: السَّمُرُ والعُرْفُطُ والسَّيالُ والقَرَظُ والقَتادُ الأَعظم والكَنَهْبَلُ والعَوْسَجُ والسِّدْرُ والغافُ والغَرَبُ. يراجع: لسان العرب: ٧/ ١٩٠. مادة (عضض).

(٤) الحديث: يأتي تخريجه قريبا.

(٥) مقاييس اللغة: ٢/ ٢٣٨. مادة (خبت).

(٦) يراجع: العين للخليل بن أحمد: ٤/ ٢٤١، وجمهرة اللغة لابن دريد: ١/ ٢٥٢، وتهذيب اللغة للهروي: ٧/ ١٣٦، ومقاييس اللغة لابن فارس: ٢/ ٢٣٨، والفروق اللغوية للعسكري: ص: ٢٥٠، والمفردات في غريب القرآن للراغب: ص: ٢٧٢، وأساس البلاغة للزمخشري: ١/ ٢٢٨، ولسان العرب لابن منظور: ٢/ ٢٧، وتاج العروس للزبيدي: ٤/ ٥٠٢. مادة (خبت).

ولهذا سمى العرب بعض الصحاري بهذا الاسم: فالخَبْتُ علمٌ لصحراء بَين مَكَّة والحجاز(١)، وتسمى هذه الصحراء بـ "خَبْتِ الجَمِيشِ"، ففي حديث النبي صلى الله عليه وسلم لعمرو بن يَثْرَبيّ: **(إِنْ رأَيتَ نَعْجَةً تَحْمِلُ شَفْرَة وزِناداً بِخَبْتِ الجَمِيشِ، فَلَا تَهِجْها)**(٢). قَالَ الْقُتَيْبِيُّ: سأَلت الْحِجَازِيّينَ، فأَخبروني أَن بَيْنَ الْمَدِينَةِ والحِجاز صَحْرَاءَ، تُعْرَف بالخَبْت. والجَميشُ: الَّذِي لا يُنْبِتُ(٣).

هذا مجمل ما أورده أهل اللغة في أصل لفظ "الْخَبْتِ"، وبناء عليه يمكن القول بأنه يدل على: (السهل أو الوادي الواسع، المطمئن من الأرض، المنخفض أو العميق، الذي لا نبات فيه، أو الذي ينبت بعض أشجار الشوك). فاستعمال "الخبت " في أصل لغة العرب استعمال مادي خالص.

(١) ينظر: الفائق في غريب الحديث والأثر للزمخشري: ٢١٠/١، ولسان العرب لابن منظور: ٢/ ٢٧. مادة (خبت).

(٢) الحديث: ورد بهذا اللفظ في لسان العرب: ٢/ ٢٧. مادة (خبت)، ولم أجده بهذا اللفظ.
والمروي في كتب السنة لفظه: عَنْ عَمْرِو بْنِ يَثْرِبِيٍّ الضَّمْرِيِّ، قَالَ: شَهِدْتُ خُطْبَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمِنًى، فَكَانَ فِيمَا خَطَبَ بِهِ أَنْ قَالَ: **(وَلا يَحِلُّ لامْرِئٍ مِنْ مَالِ أَخِيهِ، إِلا مَا طَابَتْ بِهِ نَفْسُهُ)** قَالَ: فَلَمَّا سَمِعْتُ ذَلِكَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ لَوْ لَقِيتُ غَنَمَ ابْنِ عَمِّي، فَأَخَذْتُ مِنْهَا شَاةً، فَاجْتَزَرْتُهَا، عَلَيَّ فِي ذَلِكَ شَيْءٌ؟ قَالَ: **(إِنْ لَقِيتَهَا نَعْجَةً، تَحْمِلُ شَفْرَةً وَأَزْنَادًا، فَلا تَمَسَّهَا)**".
وقد أخرجه: أحمد في مسنده: ٣٤/ ٥٦١، ٥٦٢، والبيهقي في سننه الكبرى: كتاب: الغصب، باب: لا يملك أحد بالجناية شيئا جنى عليه إلا أن يشاء هو والمالك: ٦/ ١٦٠، ح(١١٥٢٥)، والدارقطني في سننه: كتاب البيوع: ٣/ ٤٢٣، ح(٢٨٨٤)، عن عمرو بن يثربي، قال شعيب الأرناؤوط: شطره الأول صحيح لغيره، وهذا إسناد ضعيف.
قال في لسان العرب: (٦/ ٢٧٦): "يُقَالُ: إِنَّ خَبْتَ الجَمِيش صحراءُ واسعةٌ لا نَبَاتَ لَهَا، فَيَكُونُ الإِنسانُ بِهَا أَشدَّ حَاجَةً إِلى مَا يُؤكل، فَقَالَ: إِنْ لقِيتَها فِي هَذَا الْمَوْضِعِ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ فَلا تَهِجْها، وإِنما خَصَّ خَبْتَ الجَمِيش بالذِّكْر؛ لأَنَّ الإِنسانَ إِذا سَلَكَهُ طالَ عَلَيْهِ، وفَنِي زادُه، وَاحْتَاجَ إِلى مَالِ أَخيه الْمُسْلِمِ، وَمَعْنَاهُ: إِن عَرَضَت لَكَ هَذِهِ الْحَالَةُ فَلا تَعَرَّضْ إِلى نَعَمِ أَخيك بوجْه وَلا سبَب، وإِن كَانَ ذَلِكَ سَهْلا، وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ: (تَحْمِلُ شَفْرَةً وَزِنَادًا) أَي: مَعَهَا آلَةُ الذَّبْحِ وَآلَةُ الشيّ، وَقِيلَ: خَبْتُ الجَمِيش كأَنه جُمِش، أَي خُلِق". أ.هـ.
(٣) لسان العرب: ٢/ ٢٧، وتاج العروس: ٤/ ٥٠٣، ٥٠٤. مادة (خبت).

ثانيا: دلالات لفظ الإخبات في القرآن الكريم:

حين سطعت شمس القرآن الكريم على العرب نقل كثيرا من ألفاظهم إلى استعمالات جديدة لم تكن معهودة عندهم قبل الإسلام، حتى صارت حقائق شرعية فيما استعملت فيه، ومن ذلك لفظ "الإخبات"، فقد نقله القرآن الكريم من هذا الاستعمال المادي الخالص إلى استعمال معنوي خالص، فأضحى يدل على كثير من معاني القلوب في السياقات القرآنية المختلفة؛ فأعطاه القرآن الكريم بعدا جديدا، وأضفى عليه ظلالا من المعاني والدلالات.

أخرج البخاري في صحيحه: في ترجمة باب تفسير سورة الحج، عن ابن عُيَيْنَةَ[١] في قوله تعالى في سورة الحج: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الحج: ٣٤] قال: «المُطْمَئِنِّينَ»[٢].

وأخرج الطبري وغيره في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَأَخْبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾ [هود: ٢٣] عن السلف أقوالا: فعن ابن عباس وقتادة: أن معناه: وأنابوا إلى ربهم، وعن ابن عباس في رواية أخرى أن معناه: وخافوا من ربهم، وعن مجاهد أن معناه: واطمأنوا، وعن قتادة أن معناه: وخشعوا وتواضعوا، وعن مقاتل: وأخلصوا إلى ربهم[٣].

وقال الخليل بن أحمد: "والمُخْبِتُ: الخاشع المتضرع، يخبت إلى الله، ويخبت قلبه لله"[٤].

وقال أبو منصور الهروي: "قَالَ العَدَوِيُّ: وَمِنْه المُخْبِتُ من النَّاس، وأَخْبَتَ إِلَى ربه: أَي: اطمأَنَّ إِلَيْهِ"[٥].

(١) هو: التابعي الجليل: سفيان بن عيينة ابن أبي عمران ميمون الهلالي، أبو محمد الكوفي، ثم المكي، ثقة حافظ فقيه إمام حجة، إلا أنه تغير حفظه بأخرة، من رؤوس الطبقة الثامنة، مات في رجب سنة (٩٨هـ). تقريب التهذيب: ص: ٢٤٥.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه معلقا: كتاب التفسير، في ترجمة باب: سورة الحج: ٦/ ٩٧.

(٣) يراجع: جامع البيان: ١٥/ ٢٨٩- ٢٩١، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم: ٦/ ٢٠١٩، ٢٠٢٠، والنكت والعيون للماوردي: ٢/ ٤٦٤، ٤٦٥.

(٤) العين: ٤/ ٢٤١. مادة (خبت).

(٥) تهذيب اللغة: ٧/ ١٣٦. مادة (خبت).

وقال ابن فارس: "(خَبَتَ) الْخَاءُ وَالْبَاءُ وَالتَّاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى خُشُوعٍ: يُقَالُ أَخْبَتَ يُخْبِتُ إِخْبَاتًا، إِذَا خَشَعَ. وَأَخْبَتَ لِلَّهِ تَعَالَى. قَالَ عَزَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ﴾ [الحج: ٣٤]"(١).

وقال ابن منظور: "قَالَ القتيبي: وَمِنْهُ المُخْبِتُ مِنَ النَّاسِ. وأَخْبَتَ إِلى رَبِّهِ أَي: اطْمَأَنَّ إِليه. ورُوِي عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ﴾ [الحج: ٣٤]؛ قَالَ: المُطْمَئِنِّين، وَقِيلَ: هُمُ المُتَواضِعون، وَكَذَلِكَ قَالَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَأَخْبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ [هود: ٢٣]: أَي: تواضَعُوا؛ وَقَالَ الْفَرَّاءُ: أَي تَخَشَّعوا لِرَبِّهِمْ، قَالَ: والعَرَبُ تَجْعَلُ إِلى فِي مَوْضِعِ اللَّامِ. وَفِيهِ خَبْتَة: أَي: تَوَاضُعٌ. وأَخْبَتَ للَّه: خَشَعَ؛ وأَخْبَتَ: تواضَعَ، وَكِلَاهُمَا مِنَ الخَبْتِ. وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: ﴿فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحج: ٥٤]؛ فَسَّرَهُ ثَعْلَبٌ بأَنه: التواضُع. وَفِي حَدِيثِ الدُّعَاءِ: (واجْعَلْني لَكَ مُخْبِتاً)(٢)، أَي: خَاشِعًا مُطِيعًا. والإِخْباتُ: الخُشوع والتَّواضُع. وأَصل ذَلِكَ مِنَ الخَبْتِ الْمُطْمَئِنِّ مِنَ الأَرض"(٣).

وقال الراغب: "ثمّ استعمل الإخبات استعمال اللّين والتّواضع؛ قال الله تعالى: ﴿وَأَخْبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ [هود: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ﴾ [الحج: ٣٤]، أي: المتواضعين. وقوله تعالى: ﴿فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحج: ٥٤]، أي: تلين وتخشع. والإخبات هاهنا قريب من الهبوط في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٤]"(٤).

(١) مقاييس اللغة: ٢/ ٢٣٨. مادة (خبت).
(٢) الحديث: أخرجه أبو داود في سننه: أبواب فضائل القرآن، باب: ما يقول الرجل إذا أسلم: ٢/ ٨٣، ح(١٥١٠)، وصححه الألباني، والترمذي في سننه: في أبواب الدعوات: ٥/ ٥٥٤، ح(٣٥٥١)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.
(٣) لسان العرب: ٢/ ٢٧، ٢٨. مادة (خبت).
(٤) المفردات في غريب القرآن: ص٢٧٢. مادة (خبت).

وقال الزمخشري: "ومن المجاز: قوله تعالى: ﴿ وَأَخْبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾ [هود: ٢٣] أي: اطمأنوا إليه. وهو يصلي بخشوع وإخبات، وخضوع وإنصات، وقلبه مخبت"(١).

وهكذا تعددت أقوال العلماء في دلالات الإخبات في السياقات القرآنية، وبناء على اختلافهم هذا تعددت تعريفاتهم له:

قال أبو هلال العسكري: "... فالإخبات على مَا يُوجِبهُ الِاشْتِقَاق: هُوَ الخضوع المستمر على اسْتِوَاء"(٢).

وقال القشيري: هو التخشع لله بالقلب بدوام الانكسار(٣).

وقال الرازي: هو الخشوع والخضوع(٤).

وقال القرطبي: هو الخشوع والاطمئنان، أو الإنابة إلى الله عز وجل المستمرة على استواء(٥).

وقال ابن الجوزي: هو التواضع، والسكون والإنابة إلى الله عز وجل(٦).

وقال الشوكاني: هو الخشوع والاطمئنان(٧). وقال أيضا: هو الْخُشُوع والتواضع والخضوع(٨).

وقال التهانوي: هو الخضوع لله وحضور القلب له(٩).

(١) أساس البلاغة: ١/ ٢٢٨. مادة (خبت).
(٢) الفروق اللغوية: ص٢٥٠.
(٣) لطائف الإشارات: ٢/ ١٣٠.
(٤) التفسير الكبير: ١٧/ ٣٣٥.
(٥) الجامع لأحكام القرآن: ٩/ ٢١.
(٦) تفسير القرآن الكريم لابن القيم: ص: ٣٢٣، ومدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين له أيضا: ٢/ ٦.
(٧) فتح القدير للشوكاني: ٢/ ٥٥٨.
(٨) تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين للشوكاني: ص: ٤٢٨.
(٩) التوقيف على مهمات التعاريف: ص٤١.

ثالثا: تعريف موجز بما دل عليه الإخبات:

بان مما سبق أن لفظ الإخبات أصبح في الاستعمال القرآني مصطلحا ثري المعنى، واسع الدلالة، كثير الظلال، حيث دل على معانٍ كثيرة، هي: "الخشوع، والاطمئنان، والتواضع، والتضرع، والإخلاص، والإنابة، والخوف، والخضوع". فكان لزاما علينا أن نبين معاني تلك المصطلحات في إيجاز؛ لأن مصطلح الإخبات حمل من معانيها الكثير.

أولا: الخشوع:

وهو في اللغة: التطامن(١)، أي: الانخفاض، ومنه وُصِفت الأرض بالخشوع، وهو يُبْسُها، وانخفاضها، وعدم ارتفاعها بالري والنبات، قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾[فصلت: ٣٩] (٢).

وفي الاصطلاح: التذلل، والسكون، قال تعالى:﴿ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ ﴾ [طه: ١٠٨] أي: سكنت، وذلت، وخضعت؛ قال الجنيد: الخشوع: تذلل القلوب لعلام الغيوب. وقيل: قيام القلب بين يدي الرب بالخضوع والذل. وقيل: الانقياد للحق(٣). وقد أجمع العارفون على أن محل الخشوع القلب، وأن ما يظهر على الجوارح إنما هي ثمراته(٤).

ثانيا: الاطمئنان:

وهو في اللغة: السكون، يقال: اطْمَأَنَّ الرَّجُلُ اطْمِئناناً وطُمَأْنينة، أَي سَكَن(٥).

(١) مقاييس اللغة: ٢/ ١٨٢، مادة (خشع).
(٢) مدارج السالكين لابن القيم: ١/ ٥١٦، ٥١٧.
(٣) مدارج السالكين: ١/ ٥١٦، ٥١٧.
(٤) مدارج السالكين لابن القيم: ١/ ٥١٧.
(٥) يراجع: مقاييس اللغة: ٣/ ٤٢٢، ولسان العرب: ١٣/ ٢٦٨، والمفردات للراغب: ص ٥٢٤، مادة (طمن).

وفي الاصطلاح: سكون القلب، وعدم اضطرابه وقلقه. ومنه قوله تعالى: ﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الرعد: ٢٨] وقوله: صلى الله عليه وسلم: (الْبِرُّ مَا سَكَنَتْ إِلَيْهِ النَّفْسُ، وَاطْمَأَنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ)[١]، أي: سكن إليه القلب القلب وزال عنه اضطرابه وقلقه[٢].

ثالثا: التواضع:

وهو في اللغة: التذلُّلُ[٣]، مصدر تَواضَعَ، أي أظهر الضّعة، مأخوذ من مادّة (و ض ع) الّتي تدلّ على الخفض للشّيء وحطّه، يقال: وضعته بالأرض وَضْعاً، ووضعت المرأة ولدها[٤].

وفي الاصطلاح:

تحقير النفس بالنسبة إلى عظمة الله تعالى، وقبول الحق بحسن الخلق، وقيل: تذلل القلوب لعلام الغيوب[٥]، وقيل: هو الاستسلام للحق، والانقياد له، وقبوله ممن كان، وقيل: هو خفض الجناح، ولين الجانب[٦]. وكلها معان متقاربة.

رابعا: التضرع:

وهو في اللغة: الخضوع والتذلل، مصدر تَضَرَّعَ، مأخوذ من مادة (ض ر ع) التي تدل على لِينٍ في الشّيء[٧]. يقال: ضَرَعَ إليه يَضْرَعُ ضَرَعاً وضَرَاعةً: خَضَعَ وذَلَّ، وتضرَّع: تذلَّل وتخشَّع، وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ ﴾ [الأنعام: ٤٣]، معناه: تذلَّلوا وخضَعوا. وتضرَّع

(١) الحديث: أخرجه أحمد في مسنده: ٢٩/ ٢٧٨، ح(١٧٧٤٢)، وصححه محققه شعيب الأرناؤوط.
(٢) مدارج السالكين: ٢/ ٤٧٩، ٤٨٠.
(٣) الصحاح: ٣/ ١٣٠٠، مادة (وضع).
(٤) مقاييس اللغة: ٦/ ١١٧، مادة (وضع).
(٥) التوقيف على مهمات التعاريف: ص١١١.
(٦) يراجع الرسالة القشيرية: ١/ ٢٧٥، ومدارج السالكين: ٢/ ٣١٤.
(٧) مقاييس اللغة: ٣/ ٣٩٥، ٣٩٦. مادة (ضرع).

إلى اللَّهِ، أَي: ابْتَهَلَ. والتّضرّع: إظهار الضّراعة قال تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾ [الأعراف: ٩٤] أي يتضرّعون، فأُدغم[١]، ومعناه: يتذلّلون في دعائهم إيّاه[٢].

واصطلاحا: هو التذلل في الدعاء، أو في الابتهال إلى الله تعالى، وسؤاله تعالى بذل وخشوع، وإظهار شدة الفقر والمسكنة إليه سبحانه[٣]، قال تعالى: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الأعراف:٥٥].

خامسا: الإخلاص:

وهو في اللغة: مصدر أخلص يخلص، مأخوذ من مادّة (خ ل ص) الّتي تدلّ على تنقية الشّيء وتهذيبه[٤]. يقال: أَخْلَص لِلَّهِ دِينَه: أَمْحَضَه. وأَخْلَصَ الشيءَ: اخْتَارَهُ[٥].

واصطلاحا: هو ألا تطلب بعملك غير الله تعالى[٦]، وقيل: تصفية العمل من التّهمة والخلل[٧]. وقيل: تجريد قَصْدِ التقرب إلى الله تعالى عن جميع الشوائب، فمن كان غرضه محض التقرب إلى الله تعالى فهو مخلص[٨]. وقال الفضيل بن عياض: ترك العمل لأجل النّاس رياء، والعمل لأجلهم شرك، والإخلاص: الخلاص من هذين[٩].

سادسا: الإنابة:

وهي في اللغة: الرجوع إلى الله تعالى بالتوبة ولزوم الطاعة، مصدر ناب وأناب، مأخوذ من مادّة (ن و ب) التي تدل على اعتياد مكان ورجوع إليه[١٠].

(١) المفردات: ص٥٠٦. مادة (ضرع).
(٢) بصائر ذوي التمييز: ٣/ ٤٧٣. مادة (ضرع).
(٣) مستفاد من المصادر السابقة: نفس المواضع.
(٤) مقاييس اللغة: ٢/ ٢٠٨، والمفردات للراغب: ص١٥٤، مادة (خلص).
(٥) لسان العرب: ٧/ ٢٦، مادة (خلص).
(٦) التعريفات للجرجاني: ص١٣، ١٤.
(٧) التوقيف على مهمات التعاريف: ص٤٢.
(٨) إحياء علوم الدين: ٤/ ٣٧٩.
(٩) يراجع: التعريفات: ص١٣، ومدارج السالكين: ٣/ ٩٥، والكليات للكفوي: ص٦٤.
(١٠) مقاييس اللغة: ٥/ ٣٦٧، مادة (نوب).

يقال: نابَ فلانٌ إلى اللهِ تَعَالَى، وأَنابَ إليه إنابةً، فَهُوَ مُنِيبٌ: أَقْبَلَ وتابَ، ورجَع إلى الطَّاعَةِ؛ وَقِيلَ: نابَ: لَزِمَ الطَّاعَةَ، وأَنابَ: تابَ ورجَعَ. قال تعالى: ﴿ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ﴾ [الروم: ٣١]؛ أَي: رَاجِعِينَ إلى مَا أَمَرَ بِهِ، غَيْرَ خَارِجِينَ عَنْ شيءٍ مِنْ أَمرِه. وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ ﴾ [الزمر: ٥٤]؛ أَي تُوبوا إليه وارْجِعُوا[١].

واصطلاحا: هي الرّجوع إلى الله تعالى بالتّوبة ولزوم الطاعة؛ قال تعالى: ﴿ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴾ [ص: ٢٤]، ﴿ وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا ﴾[الممتحنة: ٤]، ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ ﴾ [الزمر: ٥٤]، وفلان ينتاب فلانا: أي يقصده مرّة بعد أخرى[٢]، والفرق بين الرجوع والإنابة: أن الإنابة هي الرجوع إلى الطاعة، فلا يقال لمن رجع إلى معصية إنه أناب، والمنيب اسم مدح كالمؤمن والمتقي[٣].

سابعا: الخوف:

وهو لغة: الْفَزَعُ، مصدر خاف يخاف، مأخوذ من مادة (خ و ف) التي تدل على الذُّعْرِ وَالْفَزَعِ، يقال: خِفْتُ الشَّيْءَ خَوْفًا وَخِيفَةً ومَخَافةً[٤].

واصطلاحا: هو تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في المستقبل، وقد يكون ذلك من جريان ذنوب، وقد يكون الخوف من الله تعالى بمعرفة صفاته التي توجب الخوف لا محالة، وهذا أكمل وأتم. لأن من عرف الله تعالى خافه بالضرورة. ولهذا قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ [فاطر: ٨][٥].

والخوف من الله تعالى: هو الخوف المقترِن بالمحبة والتعظيم والتذلل والخضوع، وهو الذي يحمل العبدَ على الطاعة والبعد عن المعصية. قال ابن

(١) لسان العرب: ١/ ٧٧٥، ، مادة (نوب)، ويراجع: المفردات: ص ٥٠٨.
(٢) المفردات في غريب القرآن: ص: ٨٢٧.
(٣) الفروق اللغوية للعسكري: ص: ٣٠٣.
(٤) مقاييس اللغة: ٢/ ٢٣٠، ولسان العرب: ٩/ ٩٩، مادة(خوف).
(٥) الأربعين في أصول الدين للغزالي: ص١٦٩.

حجر: "وهو من المقامات العليّة، وهو من لوازم الإيمان؛ قال تعالى: ﴿وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران: ١٧٥]"[١].

ثامنا: الخضوع:

وهو لغة: مصدر خَضَع يَخْضَع خَضْعاً وخُضُوعاً، مأخوذ من مادة (خ ض ع) التي تدل على التذلُّل، يقال: اخْتَضَعَ فُلَانٌ، أَيْ: تَذَلَّلَ وَتَقَاصَرَ[٢]، وفي اللسان: الخضوع: التواضُع والتَّطَامُن، ... وقال ابن الأعرابي: الخضوع: الانْقِيادُ والمُطاوعةُ[٣].

واصطلاحا: هو الاستسلام والتذلل لله تعالى[٤]. وقيل: هو التَّطامن والتَّواضع والسّكون[٥]. وقيل: هو الضراعة في الْقلب[٦].

ويستفاد مما سبق:

١- أن مصطلح "الإخبات" مصطلح واسع الدلالة ؛ لأنه استعمل في كل المعاني السابقة، فهو إذا يشترك مع تلك المصطلحات جميعا في كثير من دلالاتها، ولهذا اختلفت كلمة العلماء في المراد به منها.

٢- أن مصطلح "الإخبات" يشترك مع تلك المصطلحات جميعا في أنه عمل من أعمال القلوب، يحمل معاني الانقياد التام، والإذعان المطلق، والطاعة الكاملة، والاطمئنان لحسن الجزاء عند الله تعالى.

(١) فتح الباري: ١٣/ ٣١١.
(٢) مقاييس اللغة: ٢/ ١٨٩، مادة (خضع).
(٣) لسان العرب: ٨/ ٧٢، ٧٣، مادة (خضع).
(٤) الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري: ص: ٢١٦.
(٥) بصائر ذوي التمييز: ٢/ ٥٥٠.
(٦) الكليات للكفوي: ص: ٤٣٠.

رابعا: العلاقة بين حقيقة الإخبات ودلالاته:

بإمعان النظر في الأصل اللغوي للفظ الإخبات، وفي دلالاته التي استعمل فيها في القرآن الكريم يتحقق لدينا وجود علاقة وثيقة بينهما، تتمثل في الاستواء والاطمئنان والإذعان والاستسلام.

قال القاضي ابن عطية: "وأصل اللفظ من الخَبْت، وهو البراح القَفْر المستوي من الأرض، كأن المُخْبِت في القَفْر قد انكشف واستسلم وبقي دون منعة، فشُبِّه المتذلل الخاشع بذلك"(١).

أي: فشُبِّه المتذلل الخاشع بالمخبت في شدة حاجته وفاقته واضطراره وافتقاره إلى الله تعالى، تشبيها للمعقول بالمحسوس. وهذا المعنى موجود في كل ما دل عليه لفظ الإخبات: فإن المطمئنَ، والمتواضعَ، والمتضرعَ، والمخلص، والخاشع، والمنيبَ، والخائفَ، والخاضعَ؛ كلهم مضطرون ومفتقرون إلى عفو الله تعالى ورضوانه، منكشفون مستسلمون بين يديه سبحانه؛ أكثر من انكشاف واستسلام المخبت في خبته.

وقال القاضي أيضا: "وقيل: إنما اشتق منه لاستوائه وطمأنينته"(٢).

أي: كما أن الخَبْتَ وادٍ مستوٍ مطمئنٍ، فكذا المخبت لربه مستوٍ على الطاعة، مطمئن منخفض الجناح لربه سبحانه. وكذلك الخاشع والمتواضع والمتضرع والمخلص والمنيب والخائف والخاضع، كلهم مستوون على الطاعة أيضا، مطمئنة أنفسهم وقلوبهم وجوارحهم لعظمة الله تعالى وجلاله.

فالمخبت إذاً: مستو على الطاعة، خاضع مستسلم الجوارح، دائم الإنابة، سهل القياد، لين الجانب، مخلص القول والعمل، خاشع القلب، مطمئن الفؤاد، متواضع النفس، متضرع بالذل، خائفٌ وَجِلٌ.

(١) المحرر الوجيز: ٣/ ١٦١.
(٢) المحرر الوجيز: ٣/ ١٦١.

خامسا: مواضع الإخبات في القرآن الكريم:

وردت مشتقات لفظ "الإخبات" في ثلاثة مواضع من كتاب الله تعالى:

الموضع الأول: بصيغة الفعل الماضي:

وذلك في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخۢبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [هود: ٢٣].

الموضع الثاني: بصيغة اسم الفاعل:

وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٖ جَعَلۡنَا مَنسَكٗا لِّيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۗ فَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَلَهُۥٓ أَسۡلِمُواْۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الحج: ٣٤].

الموضع الثالث: بصيغة الفعل المضارع:

وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤۡمِنُواْ بِهِۦ فَتُخۡبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الحج: ٥٤].

ويأتي إن شاء الله تعالى بيان لبعض الأسرار والحكم من وراء استعمال القرآن الكريم لتلك الصيغ، في مواطنه من البحث.

*****

المبحث الأول

منزلة الإخبات من الإيمان

إن للإخبات من الإيمان منزلة عظيمة جليلة، فقد تقدم أن لفظ "الإخبات" يدل على كثير من أعمال القلوب، ولا ريب أن أعمال القلوب جزء من الإيمان، لا تنفك عنه بحال، فالإيمان في اللغة: هو التصديق، وهذا عمل قلبي، وفي اصطلاح أهل السنة: "اعتقاد بالجنان، وقول باللسان، وعمل بالأركان، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية"(١).

وفي ذلك جمعٌ بين اعتقاد القلب، وعمله، وقول اللسان، وعمل الجوارح. فالعلاقة بين الإيمان والعمل بجناحيه (عمل القلوب، وعمل الجوارح) علاقة تلازم حقيقي، فلا يقوم الإيمان إلا بالعمل، ولا قيمة للعمل بغير الإيمان، ولهذا ربط الله تعالى بينهما في القرآن الكريم في أكثر من سبعين موضعا، ولم يكتف بقَرْن الإيمان بالعمل حتى قيده بأن يكون صالحا، كما في قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ..... ﴾ [البقرة: ٢٥]، وغيره من الآيات.

ويراد بعمل الصالحات عمل الجوارح وعمل القلوب معا، إلا إذا ورد ما يخصصه بأحدهما على ما سيتضح بعد قليل. والعلاقة بينهما أيضا علاقة تلازم حقيقي، فلا يقبل عمل الجوارح بغير عمل القلوب، ولا قيمة لعمل القلوب بغير عمل الجوارح؛ ولهذا قال صلى الله عليه وسلم: **(إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى)**(٢). وهذا أصل من الأصول التي قام عليها الدين.

(١) يراجع: العقيدة رواية أبي بكر الخلال للإمام أحمد بن حنبل: ص: ١١٧، وشرح السنة للمزني: ص: ٧٧، ٧٨، وشرح السنة للبغوي: ١/ ٣٩.

(٢) الحديث: أخرجه البخاري في صحيحه: في كتاب: بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: ٦/١، ح(١) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

ومنزلة أعمال القلوب من الإيمان لا تقل عن منزلة أعمال الجوارح منه؛ لأن عمل الظاهر وعمل الباطن متلازمان عند أهل السنة، فلا يكون الظاهر مستقيماً إلا باستقامة الباطن، والعكس صحيح.

قال الله تعالى:﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٢-٤].

وقال صلى الله عليه وسلم: **(أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ)**(١).

قال ابن حجر في شرحه: "وقد عظَّم العلماء أمر هذا الحديث، فعدوه رابع أربعة تدور عليها الأحكام"(٢).

وقال ابن رجب في شرحه أيضا: "إن صلاح حركات العبد بجوارحه بحسب صلاح حركة قلبه، فإن كان قلبه سليماً ليس فيه إلا محبة الله، ومحبة ما يحبه الله، وخشية الله؛ صلحت حركات الجوارح كلها. وإن كان القلب فاسداً، قد استولى عليه اتباع هواه، فسدت حركات الجوارح كلها، ... فإن أعمال الجوارح لا تستقيم إلا باستقامة القلب، .... وحركات الجسد تابعة لحركة القلب وإرادته، فإن كانت حركته وإرادته لله وحده؛ فقد صلح وصلحت حركات الجسد كله، وإن كانت حركة القلب وإرادته لغير الله تعالى، فسد، وفسدت حركات الجسد بحسب فساد حركة القلب ... ومعنى هذا أن حركات القلب والجوارح إذا كانت كلها لله؛ فقد كمل إيمان العبد بذلك ظاهراً وباطناً"(٣).

(١) الحديث: أخرجه البخاري في صحيحه: في كتاب: الإيمان، باب: فضل من استبرأ لدينه: ١/٢٠، ح(٥٢) عن النعمان بن بشير رضي الله عنه.
(٢) فتح الباري لابن حجر: ١/ ١٢٩.
(٣) جامع العلوم والحكم: ص٢١٠ – ٢١٣، بتلخيص واختصار.

وقد تقدم أن لفظ "الإخبات" يستعمل في جُلِّ أعمال القلوب؛ من الخشوع، والاطمئنان، والتواضع، والتضرع، والإخلاص، والإنابة، والخوف، والخضوع ... إلخ"، وأنه إذا أطلق أريد به أكثر من معنى من تلك المعاني القلبية.

وإذا كان الإخبات دالا على كثير من معاني القلوب حيثما أطلق؛ كانت منزلته من الإيمان كمنزلة القلب من الجسد؛ فكما أن الجسد لا يحيا بغير القلب، فكذلك الإيمان لا يقوم إلا بأعمال القلوب.

وقد ورد في كتاب الله تعالى ما يدل على تلك المنزلة العظيمة:

وذلك في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخۡبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [هود: ٢٣].

وهذا تفسير وبيان:

أولا: مناسبة الآية لما قبلها:

وردت هذه الآية الكريمة في سياق الترغيب والترهيب، لبيان سنة من سنن الله تعالى، وهي أن عاقبةَ الكفر والتكذيب والغرور الطردُ من رحمة الله تعالى، والفضيحة على رؤوس الأشهاد، والخلود في النار، وأن جزاء الإيمان والعمل الصالح الخلودُ في الجنة.

فبعد أن ذكر الله تعالى صورة من صور الكافرين المتكبرين المتجبرين الذين يصدون الناس عن سبيله، ويكفرون بلقائه سبحانه، وذكر غرورهم بالدنيا وزينتها، وكفرهم بآياته، واختلاقهم الكذب عليه سبحانه، وبيَّن مآلهم في الآخرة، بأنهم مطرودون من رحمته، مفضوحون يوم القيامة على رؤوس الأشهاد، وأنهم ليسوا بمفلتين من عذابه سبحانه وإن أمهلهم، وأنه تعالى يضاعف لهم العذاب، بسبب إجرامهم وطغيانهم؛ لأنهم كانوا صُمًّا عن سماع الحق، عمياً عن اتباعه، وأنهم بذلك أخسر الخلق يوم القيامة؛ حيث قال تعالى: ﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُعۡرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمۡ وَيَقُولُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا

عِوَجًا وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُواْ مُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۚ مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُواْ يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [هود: ١٨ – ٢٢].

بعد ذلك ذكر الله سبحانه الصورة المقابلة لأولئك المتكبرين المتجبرين، – على طريقة القرآن في الترغيب والترهيب – وهي صورة المؤمنين الصالحين المخبتين، وجزاءهم عنده تعالى، **فقال عز وجل:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [هود: ٢٣]. "فالآية مستأنفة استئنافا بيانيا؛ لأن النفوس تشرئب عند سماع حكم الشيء إلى معرفة حكم ضده"(١).

ثانيا: التفسير والبيان:

وردت هذه الآية الكريمة في أسلوب خبري لفظا ومعنى، لكن بمنطوقها يشير إلى السببية؛ فقد رتب الله تعالى فيها دخول الجنة على تحقق الإيمان، وعمل الصالحات، والإخبات، لكنها سببية عادية؛ لأن دخول الجنة إنما هو بفضل الله تعالى ورحمته، لا بمجرد العمل، والله سبحانه الموفق للعمل والمعين عليه، وهو عز وجل لا يجب عليه شيء، لا إثابة الطائع ولا معاقبة العاصي، فإن أثاب فبمحض فضله، وإن عاقب فبمحض عدله، لكنه سبحانه وعد بإثابة الطائعين وتَوعَّد بعقاب العاصين، وهو سبحانه وتعالى لا يخلف الميعاد.

ومما يعضد القول بالسببية: مجيءُ هذه الصفات الثلاث في سياق صلة الموصول (الذين) للتوصل بصلته إلى جدارتهم بهذا الجزاء.

وإنما جاءت الآية الكريمة على أسلوب الخبر المؤكد بعدة مؤكدات للدلالة على تأكيد معناها، وعظيم مضمونها، وجليل مطلوبها، بتصويره في صورة الثابت المحقق، الذي لا يشك في ثبوته وتحققه.

(١) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور: ١٢/ ٣٩.

* **فقوله تعالى:** ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾: إشارة إلى السبب الأول من أسباب دخول الجنة، وهو تحقق الإيمان، والمعنى: إن الذين صدقوا بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وبكل ما يجب التصديق به.

* **وقوله تعالى:** ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾: إشارة إلى السبب الثاني من أسباب دخول الجنة، وهو عمل الصالحات، والمعنى: وعملوا في الدنيا بطاعة الله ورسوله، فأقاموا الحدود، وأدوا الفرائض، واجتنبوا المحارم ... إلخ. والعمل الصالح هو الذي يصلح به الدين وتصلح به الدنيا.

وعمل الصالحات وإن كان يشمل عمل الجوارح وعمل القلب، إلا أن السياق هنا يرشح كون المراد به عمل الجوارح خاصة، وذلك لعطف الإخبات عليه، إشارة إلى عمل القلب، وقد صرح في قوله تعالى: ﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُواْ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ بأنه عمل قلبي.

فإن أريد بعمل الصالحات عمل الجوارح وعمل القلب كان ذكر الإخبات من باب ذكر الخاص بعد العام تأكيدا عليه واهتماما بشأنه. وإن أريد به عمل الجوارح خاصة وجب حمل الإخبات على عمل القلب، وهو الأرجح في رأيي، والله أعلم.

* **وقوله تعالى:** ﴿وَأَخْبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾:

إشارة إلى السبب الثالث من أسباب دخول الجنة، وهو الإخبات إلى الله تعالى. وقد اختلف في المراد به: فروي فيه عن السلف أقوالا: أولها: وأنابوا إلى ربهم، وثانيها: واطمأنوا، وثالثها: وخشعوا وتواضعوا، ورابعها: وخافوا، وخامسها: وأخلصوا(١).

(١) يراجع: جامع البيان: ١٥/ ٢٨٩- ٢٩١، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم: ٦/ ٢٠١٩، ٢٠٢٠، والنكت والعيون للماوردي: ٢/ ٤٦٤، ٤٦٥. وغيرها من كتب التفسير.

وذكر العلماء في دلالاته – على ما سبق بيانه – وجوها: أولها: الخشوع، وثانيها: الاطمئنان، وثالثها: التواضع، ورابعها التضرع، وخامسها: اللين، وسادسها: الإنابة، وسابعها: الخوف، وثامنها: الخضوع.

وبضم ما ذكره العلماء إلى ما روي عن السلف يتحصَّل لدينا تسعة أقوال في معنى الإخبات؛ هي جميعا من باب اختلاف التنوع لا اختلاف التضاد، فلا تناقض بينها ولا تضاد ولا تعارض؛ ويمكن إرادتها جميعا بلا حرج؛ لأنها متقاربة المعاني.

ولهذا، يجوز حمل الآية على تلك المعاني جميعا دون حرج، بل إنه الأَوْلى؛ بيانا لثراء معناها، وكثرة دلالاتها:

- فإذا فُسِّر الإخبات بالخشوع فالمعنى: وأتوا بالأعمال الصالحات متذللة قلوبهم، منقادة جوارحهم، ساكنة نفوسهم.
- وإذا فُسِّر بالتواضع فالمعنى: وأتوا بالأعمال الصالحات منكسرة قلوبهم لعظمة الله تعالى، متبرئين من حولهم وقوتهم، منخفضة أنفسهم لله تعالى، ناظرين إليها بعين التقصير مهما أتوا من أعمال.
- وإذا فُسِّر بالاطمئنان فالمعنى: وأتوا بالأعمال الصالحات ساكنة قلوبهم، آنسة بالله تعالى، مستقرة أنفسهم، واثقة في وعده سبحانه.
- وإذا فُسِّر بالإنابة فالمعنى: وأتوا بالأعمال الصالحات وقلوبهم ملازمة للطاعة، رجَّاعة إليه عز وجل بالتوبة، لا تتحمل ألم المخالفة، ولا تصبر على البعد عن طاعته سبحانه.
- وإذا فُسِّر بالخوف فالمعنى: وأتوا بالأعمال الصالحات وقلوبهم وجلة حذرة من وقوع خلل أو تقصير فيها، أو وقلوبهم فزعة فَرَقًا من التقصير في عبادته تعالى، أو فَرَقًا من لقائه عز وجل.
- وإذا فُسِّر بالخضوع فالمعنى: وأتوا بالأعمال الصالحة وقلوبهم مستسلمة لجلال الله تعالى، متجردة من كل حول وطول؛ خشية لله تعالى.
- وإذا فُسِّر باللين فالمعنى: وأتوا بالأعمال الصالحة وقلوبهم وجوارحهم سهلة لينة في طاعته تعالى، لا صعبة ولا عصية، لا تستثقل العبادة، ولا تمل منها.

- وإذا فُسِّر بالتضرع فالمعنى: وأتوا بالأعمال الصالحة وقلوبهم مفتقرة إلى الله تعالى، منكسرة بين يديه سبحانه، مبالِغة في الدعاء أن يتقبلها الله تعالى بقبول حسن.
- وإذا فُسِّر بالإخلاص فالمعنى: وأتوا بالأعمال الصالحة وقلوبهم وجوارحهم قاصدة بها وجه الله تعالى، متبرئة من كل ما يفسدها من الأقوال والأفعال والاعتقادات. ....

فالإخبات إذاً يشير إلى كثير من أعمال القلوب، ولو جيء بلفظة أخرى ما أدت تلك المعاني ولا أغنت عن كل هذه العبارات، وهذه المعاني كلها جديرة بالآية، داخلة في معناها، غير نابية عنها.

وبذلك تكون الآية الكريمة قد جمعت أسباب دخول الجنة كلها في أوجز لفظ وأتم عبارة، حيث نصت على الإيمان صراحة، وأشارت بعمل الصالحات إلى أعمال الجوارح، وبالإخبات إلى أعمال القلوب.

ومن هنا ندرك الحكمة الجليلة والمقصود العظيم من مجيء قوله تعالى: ﴿وَأَخۡبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ﴾ بعد قوله تعالى: ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ مع أن العبارة الأخيرة تضم في معناها أعمال الجوارح وأعمال القلب: وهي التأكيد على منزلة أعمال القلوب من الإيمان، وأن وجودها حتمي وضروري لصحة الإيمان وتمامه.

ومما زاد هذا المعنى وضوحا ورسوخا: التعبير بالماضي: ﴿وَأَخۡبَتُوٓاْ﴾ للدلالة على التحقق والثبوت؛ استجاشة لما هو مطلوب من المؤمنين أن يكونوا عليه من الثبات على ذلك والتحقق به.

ومما زاده كمالا: التعبير بلفظ الرب: ﴿وَأَخۡبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ﴾: إذ فيه من كمال الرعاية والعناية والإنعام والإحسان ما فيه، وفيه أيضا إشارة إلى استشعارهم نعم الله تعالى عليهم وتربيته لهم، مما جعلهم مخبتين له سبحانه لا لغيره، فتناسب التعبير بوصف الربوبية مع وصفهم بالإخبات.

أضف إلى ذلك كله ما أفاده التعبير بـ (إنَّ) التي للتوكيد، واسمية الجملة، وإخراج الكلام كله في صيغة الماضي (آمنوا، وعملوا الصالحات، وأخبتوا) من

الدلالة على التحقق والثبوت، والذي يشير إلى حث المؤمنين على التحقق بتلك الصفات والثبات عليها؛ إذ على ذلك يدور الثواب والجزاء، ولهذا أعقبه الله تعالى بذكر جزائهم وفوزهم بالجنة فقال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾﴾، ويأتي الكلام على تفسيرها في المبحث الأخير، عند الحديث عن جزاء المخبتين.

قال الآلوسي: "وليس المراد حصر الخلود فيها على أولئك المنعوتين بهذه الأوصاف؛ لأن العصاة من المؤمنين يدخلون الجنة عند أهل الحق ويخلدون فيها"(١).

وخلاصة الأمر: أن للإخبات منزلة عظيمة من الإيمان، وعليه مدار القبول في الآخرة، لأنه إن كانت أحكام الدنيا تجري على حسب أعمال الظاهر، فإن أحكام الآخرة تكون على حسب موافقة الظاهر للباطن، فإن وافقه كانت النجاة، وإن خالفه كانت العقوبة، والعياذ بالله؛ قال الله تعالى: ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء: ٨٨ – ٨٩]. جعلنا الله تعالى ممن صلح ظاهره وباطنه.

****

(١) يراجع: روح المعاني: ٦/ ٢٣٤. بتصرف وزيادة

المبحث الثاني

أهل الإخبات في القرآن الكريم

وردت الإشارة إلى أهل الإخبات في قول الله تعالى: ﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الحج: ٥٤].

وحتى يتضح المراد بهم لابد من تفسير الآية في سياقها، وبيان معناها من خلاله:

أولا: مناسبة الآية لما قبلها:

وردت هذه الآية الكريمة في سياق تسلية النبي صلى الله عليه وسلم وتثبيت فؤاده، لما كان يلقاه من تكذيب قومه وجحودهم، ببيان أن ذلك سنة من سنن الله تعالى في رسله وأنبيائه عليهم الصلاة والسلام، فما منهم من أحد إلا كاد له الشيطان في هداية قومه، بنشر الفتن وإلقاء الشبهات والأباطيل، ليضلهم عن سبيل الله، لكن الله تعالى ثبت عباده المؤمنين على الحق واليقين، وحفظ دعوة رسله من تكذيب المكذبين وعبث العابثين، وميَّز المؤمنين من الكافرين؛ قال الله تعالى:

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الحج: ٥٢ – ٥٤].

فهذا سياق يتحدث عن فتن وشبهات تبثها الشياطين ويتولاها أعوانهم، ليصدوا الناس عن دين الله، فتغشى قلوبهم كقطع الليل المظلم، ولا يسلم منها إلا من ثبته الله تعالى وربط على قلبه. إنه سياق يرسم صورة حية لمن زلت أقدامهم، وضلت أفهامهم؛ فوقعوا في الشبهات والفتن، وضلوا عن سواء

السبيل، ومَنْ كمُل إيمانهم، ورسخ علمهم، فثبتوا على الحق، واطمأنت به قلوبهم، فهداهم الله تعالى إلى صراطه المستقيم.

وقد وردت آية الباب بيانا للجانب الثاني من حكمة الله تعالى في تقديره إلقاء الشيطان أباطيله وشبهاته لصد الناس عن دين الله تعالى؛ وهي: تثبيته عز وجل الذين أوتوا العلم على الحق واليقين.

ثانيا: التفسير والبيان:

* **قوله تعالى:** ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٥٢ ﴾ ..... الآيات:

ذكر بعض المفسرين(١) والمحدثين(٢) في تفسير هذه الآيات ما لا يجوز وقوعه من آحاد المؤمنين منسوبا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وأطالوا في ذلك وفي تقريره سؤالا وجوابا، فيما اشتهر بقصة "الغرانيق"، وهي قصة لا علاقة لها بتلك الآيات الكريمات، لا بدلالة المنطوق ولا بدلالة المفهوم، ولا يشير إليها سياقها بحال، فضلا عن بطلانها سندا ومتنا، وهو ما ذهب إليه المحققون(٣).

والحق: أن سياق هذه الآيات الكريمة عام، يتضمن تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بذكر حالة من كان قبله من الأنبياء والمرسلين، في

(١) يراجع: جامع البيان للطبري: ١٨/ ٦٦٢- ٦٦٩، والكشف والبيان للثعلبي: ٧/ ٢٩، ٣٠، والنكت والعيون للماوردي: ٤/ ٣٥، ٣٦، والتفسير البسيط للواحدي: ١٥/ ٤٥٢- ٤٦٩، ومعالم التنزيل للبغوي: ٣/ ٣٤٧، ٣٤٨، والكشاف للزمخشري: ٣/ ١٦٤، ١٦٥.

(٢) يراجع: المعجم الكبير للطبراني: ٩/ ٣٤ رقم (٨٣١٩)، و ١٢/ ٥٣ رقم (١٢٤٥٠)، ومسند البزار: ١١/ ٢٩٦ رقم (٥٠٩٦)، ودلائل النبوة للبيهقي: جماع أبواب المبعث، باب: الهجرة الأولى إلى الحبشة ثم الثانية وما ظهر فيها من الآيات: ٢/ ٢٨٦، ٢٨٧.

(٣) يراجع: التفسير الكبير للرازي: ٢٣/ ٢٣٦- ٢٤٢، والجامع لأحكام القرآن: ١٢/ ٨٠- ٨٦، والشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض: ٢/ ١٢٤- ١٣٢، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٥/ ٣٨٧- ٣٩٠، والبحر المحيط: ٧/ ٥٢٥، ٥٢٦، وروح المعاني للألوسي: ٩/ ١٦٤- ١٧٨، وفتح القدير: ٣/ ٥٤٥، ٥٤٦، والتحرير والتنوير: ١٧/ ٢٩٧- ٣٠٧.

تربص الشيطان ومنازعته لهم في هداية أقوامهم، وليس فيه إشارة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا للقرآن الكريم، ولا هو خبر عن قصة حدثت؛ يدلنا على ذلك قوله تعالى: ﴿مِن قَبْلِكَ﴾، وورود النكرة ﴿رَّسُولٍ﴾، و﴿نَبِيٍّ﴾ في سياق النفي، وتأكيد هذا العموم بأسلوب القصر بما وإلا – أقوى طرق القصر –، وزيادة ﴿مِن﴾ في قوله ﴿مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ لتأكيد العموم.

قال أبو حيان: "و﴿مِن﴾ في ﴿مِن رَّسُولٍ﴾ زائدة تفيد استغراق الجنس"(١).

وقال الطاهر بن عاشور: "فقوله: ﴿مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ نص في العموم، فأفاد أن ذلك لم يَعْدُ أحدا من الأنبياء والرسل"(٢).

والمعنى: وما أرسلنا من قبلك رسولا ولا نبيا إلا إذا أحب ورغب(٣) في هداية قومه إلى دين الله ألقى الشيطان الشبهات والأباطيل في نفوسهم؛ ليحول بينهم وبين الإيمان، كأن يوهمهم أن هذا الرسول أو النبي ساحر أو مجنون، أو أن ما يقوله سحر، وما شابه ذلك من الأباطيل؛ قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾﴾ [الذاريات: ٥٢].

وفي التعبير بأسلوب الشرط والجزاء ما يفيد التحقق والثبوت، إشارة إلى أن مكائد الشياطين كانت متحققة وثابتة على الدوام، ولم يخل منها موقف من مواقف دعوة المرسلين عليهم الصلاة والسلام.

ومفعول ﴿أَلْقَى﴾ محذوف مفهوم من السياق؛ لأن الشيطان لا يلقي إلا الشر والكفر والشبهات والأباطيل.

---

(١) البحر المحيط: ٧/ ٥٢٦.

(٢) التحرير والتنوير: ١٧/ ٢٩٧.

(٣) هذا هو الراجح في رأيي: وهو كون (تمنى) و(أمنيته) من التمني بمعنى محبة الشيء، وشدة الرغبة في الحصول عليه، لجريانه على أصل اللغة والمشهور منها، ومناسبته للعموم في هذا السياق، ولأنه أوسع معنى من القول بأن (تمنى) بمعنى (قرأ)، إذ يشمل كل ما يلقيه الشيطان من الأباطيل في كل سبيل تؤدي إلى تحقيق ما يتمناه ذلكم الرسول أو النبي لهداية قومه، وليس مقصورا على ما يلقيه الشيطان في معاني ما يقرأه الرسول أو النبي من الوحي.

وقوله تعالى: ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ معناه: فيزيل الله تعالى ببيانه الواضح الجلي على لسان أنبيائه ورسله تلك الشبه والأباطيل من قلوب المؤمنين، ويثبتهم على الحق واليقين.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ﴾ المراد بالآيات هنا: المعجزات أو الدلائل التي يؤيد الله تعالى بها رسله وأنبياءه عليهم السلام، تصديقا لهم في دعوتهم. والمعنى: ثم يُظهر الله تعالى آياته الدالة على صدق رسله وأنبيائه، ويُعليها ويُجليها، محكمة لا لبس فيها؛ ليظهر للعيان بطلان ما روجته الشياطين من الشبه والأباطيل.

"و﴿ثُمَّ﴾ للترتيب الرتبي[1] لا الزمني، لأن تقرير إحكام آيات الله تعالى أهم وأعلى رتبة من تقرير نسخ ما يلقي الشيطان؛ إذ بالإحكام يتضح الهدى ويزداد ما يلقيه الشيطان نسخا"[2].

وعليه، فإن تقديم قوله تعالى: ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ على قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ﴾ للمبادرة بإعلان هذا الحكم؛ لئلا يعلق في الأذهان أن ما ألقاه الشيطان من الشبه والأباطيل بقي له أثر في قلوب أحد من المؤمنين، ولذلك جاء العطف بالفاء التي تفيد التعقيب.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾: أي: والله عليم بكل شؤون خلقه، ﴿لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ۝٣﴾ [سبأ: ٣]، يعلم ما يلقيه الشيطان من الوساوس والأباطيل، حكيم في شأنه كله، يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها اللائقة بها في خلقه وأمره، فلا يتوجه إليه سؤال، ولا يقدح في حكمته مقال.

(١) قال الرضيّ في (شرح الكافية: ٣٩٠/٤): "وقد تجئ (ثم) لمجرد الترتيب في الذكر، والتدرج في درج الارتقاء ، وذكر ما هو الأولى، ثم الأولى؛ من دون اعتبار التراخي والبعد بين تلك الدرج، ولا أن الثاني بعد الأول في الزمان، بل ربما يكون قبله". ويراجع أيضا: معاني القرآن للفراء: ١/ ٣٩٦.

(٢) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور: ١٧/ ٣٠٠. بتصرف.

ومن حكمته تعالى: تقديره إلقاء الشياطين أباطيلهم ووساوسهم ليصدوا الناس عن دين الله؛ لحِكَمٍ يعلمها سبحانه، ومنها ما ذكره عز وجل في الآيتين الآتيتين، **حيث قال تعالى:**

﴿ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِي ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ ﴾

وهذا هو الجانب الأول من حكمته تعالى في تلك السنة الإلهية، والمعنى: قَدَّرَ الله تعالى ذلك ليجعل ما يلقيه الشيطان من تلك الشبه والأباطيل فتنة، أي: بلاء وعذابا(١)، للذين في قلوبهم مرض، أي: شك وارتياب، وهم المنافقون، وللذين قست قلوبهم، وهم الكافرون المجاهرون بالعناد والجحود.

وقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾: بيان لسوء عاقبة الفريقين: مَنْ في قلوبهم مرض، ومَنْ قست قلوبهم، "وُضِع الظاهر موضع ضميرهم قضاء عليهم بالظلم"(٢)، والمعنى: وإن الظالمين لفي خلاف للحق شديد، بسبب نفاقهم وكفرهم.

ومن حكمته تعالى أيضا: تثبيت الذين أوتوا العلم على الحق واليقين:

قال تعالى: ﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ ﴾.

وهذه هي آية الباب، وشاهده، وما سبق من بيان إنما هو تمهيد للكلام عليها. وهي معطوفة على قوله تعالى: ﴿ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِي ٱلشَّيْطَٰنُ .... ﴾، واللام في ﴿ وَلِيَعْلَمَ ﴾ هي لام التعليل كالتي في ﴿ لِّيَجْعَلَ ﴾، لبيان حكمته تعالى في ذلك.

---

(١) المفسرون على أن الفتنة هنا تعنى: الابتلاء والاختبار، لكن الأظهر في رأيي أن المراد بها هنا: البلاء والعذاب، لأنها وردت مورد العقاب، والعقاب لا يكون ابتلاء واختبارا، وعليه قوله تعالى: ﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ ﴾ [يونس: ٨٣] ، أي: يبتليهم ويعذّبهم، وقوله تعالى: ﴿ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ ﴾ [الحديد: ١٤] ، أي: أوقعتموها في بليّة وعذاب.

(٢) أنوار التنزيل للبيضاوي: ٤/ ٧٤.

والضمير في قوله تعالى: ﴿أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾، و﴿فَيُؤْمِنُواْ بِهِۦ﴾، و﴿فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ﴾ يعود إلى ما جاء به الرسل والأنبياء من عند ربهم، ومنهم رسولنا صلى الله عليه وسلم، وليس مخصوصا بالقرآن وحده كما ذهب إليه جمهور المفسرين، لأن السياق عامٌ، وهو خبرٌ عمن تقدم من الأنبياء والمرسلين، ولا وجه لتخصيصه بالقرآن. هذا هو الراجح في رأيي، والله أعلم.

ومعنى قوله تعالى: ﴿فَيُؤْمِنُواْ بِهِۦ﴾: أي: فيصدقوا بما جاء به الرسل والأنبياء من عند ربهم تصديقا جازما، لا يتطرق إليه شك أو ريب، ولا تؤثر فيه شبهات ولا أباطيل؛ فيزدادوا به إيمانا على إيمان.

وأما قوله تعالى: ﴿فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ﴾:

فقد اختلف المفسرون في معناه، فقال بعضهم إن المعنى: فتخضع له قلوبهم(١)، وقال بعضهم: فتطمئن إليه قلوبهم(٢)، وقال بعضهم: فتخلص له قلوبهم(٣)، وقال بعضهم: فتخشع له قلوبهم(٤)، وقال بعضهم: فتتواضع له قلوبهم(٥)، وقال بعضهم: فترق له قلوبهم(٦)، وقال بعضهم: فتنقاد له قلوبهم(٧). وقال بعضهم: فتسكن إليه قلوبهم(٨)، وقال بعضهم: فتلين له قلوبهم(٩).

(١) يراجع: جامع البيان للطبري: ١٨، ٦٧٠، والمحرر الوجيز لابن عطية: ٤/ ١٢٩، وزاد المسير لابن الجوزي: ٣/ ٢٤٦، والتفسير الكبير للرازي: ٢٣/ ٢٤١، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٥/ ٤٤٦، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري: ٥/ ٩٣، والجواهر الحسان للثعالبي: ٤/ ١٣٤.

(٢) يراجع: المحرر الوجيز: ٤/ ١٢٩، ومدارك التنزيل للنسفي: ٢/ ٤٤٩، والبحر المحيط لأبي حيان: ٧/ ٥٢٧، وغرائب القرآن: ٥/ ٩٣، والجواهر الحسان: ٤/ ١٣٤، والبحر المديد لابن عجيبة: ٣/ ٥٤٦.

(٣) يراجع: بحر العلوم للسمرقندي: ٢/ ٤٦٦، والجامع لأحكام القرآن: ١٢/ ٨٧.

(٤) يراجع: تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين: ٣/ ١٨٧، والجامع لأحكام القرآن: ١٢/ ٨٧، وجامع البيان في تفسير القرآن للإيجي: ٣/ ٦٦، والبحر المديد: ٣/ ٥٤٦، وفتح القدير للشوكاني: ٧/ ٢٥٥.

(٥) يراجع: البحر المحيط: ٧/ ٥٢٧، وعمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي: ١/ ٤٨٢.

(٦) يراجع: التفسير الوسيط للواحدي: ٣/ ٢٧٧.

(٧) يراجع: أنوار التنزيل للبيضاوي: ٤/ ٧٥، وإرشاد العقل السليم لأبي السعود: ٦/ ١١٤، ومحاسن التأويل للقاسمي: ٧/ ٢٥٥.

(٨) يراجع: تفسير القرآن للسمعاني: ٣/ ٤٥٠، ومعالم التنزيل للبغوي: ٣/ ٣٤٨، والتفسير الكبير للرازي: ٢٣/ ٢٤١، والجامع لأحكام القرآن: ١٢/ ٨٧، ولباب التأويل للخازن: ٣/ ٢٦٢، وفتح القدير: ٧/ ٢٥٥.

(٩) يراجع: عمدة الحفاظ للسمين: ١/ ٤٨٢.

وهذه الأقوال متقاربة المعاني كما سبق بيانه، وهي من باب اختلاف التنوع لا اختلاف التضاد، ويمكن إرادتها جميعا بلا حرج. ومن ثم جمع جمهور المفسرين بين بعض هذه المعاني، كالخضوع والسكون، واللين والتواضع، والخضوع والاطمئنان، والخشوع والسكون، وهكذا.

وجاء التعبير بالمضارع في ﴿فَتُخْبِتَ﴾: ليزداد المعنى كمالا، فإخباتهم متجدد تجددا يوحي بالاستمرار، وهم دائمون على تلك الصفات الجليلة التي يوحي بها لفظ الإخبات، وليست حالة طارئة تمر بهم ثم تزول.

والمعنى: قَدَّرَ الله تعالى ذلك لكي يجعل ما يلقيه الشيطان من تلك الشبه والأباطيل بلاء وعذابا للذين في قلوبهم شك وارتياب، وهم المنافقون، وللذين قست قلوبهم، وهم الكافرون، ولكي يعلم الذين أوتوا العلم أن ما جاء به الرسل والأنبياء عليهم السلام هو الحق الثابت من ربك، فيزدادوا به إيمانا، فتخبت له قلوبهم، خشوعا، واطمئنانا، وخضوعا، وتواضعا، وانقيادا، وإخلاصا، وتواضعا، ولیناً، ورِقَّةً.

فأنت ترى – أكرمك الله – أن الإخبات قد ورد في الآية الكريمة شعارا وصفة للذين أوتوا العلم، فعُلم من ذلك أنهم هم أهله المخصوصون به، كما نسبت الخشية إلى العلماء في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨]، فعُلِم منه أنهم هم أهلها المعنيون بها إذا أطلقت.

فأهل الإخبات إذاً هم الذين أوتوا العلم، وهم في رأي بعض المحققين من المفسرين: أهل العلم بالله تعالى، العارفون به سبحانه[1]. قلت: وهو قول حسن جدا، فهم إذاً ليسوا مطلق العلماء، وإنما هم أهل الطبقة العليا منهم.

(١) كالذي علمه الله تعالى للخضر، قال تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾[الكهف: ٦٥].

ومما يرشح هذا القول في نظري ويقويه، والله أعلم:

أولا: أن الله تعالى أثنى عليهم وذكر ثباتهم على الحق واليقين في موطن ابتلاء عظيم، تَزِلُّ فيه الأقدام، ويَمِيزُ الله فيه المؤمنين الصادقين من الكافرين الجاحدين، فعُلم من هذا شرفهم وعلو مقامهم.

ثانيا: أن مواطن الشبهات والفتن لا يقوى عليها عامة المؤمنين، ولا عامة العلماء، وإنما تحتاج فوق ذلك إلى أهل البصيرة النافذة، والعلم الراسخ، لتسقط الشبه في مكانها، وتموت الفتن في مهدها، ويقتدي بثباتهم على الحق عامة المؤمنين، فالعالم بالله تعالى أشد على الشيطان وشبهاته من ألف عابد.

ثالثا: التعبير بـ (أوتوا العلم)، بدل (العلماء) وما يشعر به من المنة والفضل، والعطاء الإلهي، فكأنهم وُهبوا منزلة من العلم فوق ما يحصله العلماء، ولعلها منزلة العلم اللدُنِّي[1]، الذي أنار الله به بصائرهم، فثبتوا على اليقين، ولم تزغ قلوبهم أو تَزِلَّ أقدامهم.

رابعا: لعل سرا آخر قد تضمنه التعبير بهذا الأسلوب (الذين أوتوا العلم) بدل التعبير بـ (الذين آمنوا): وهو الدلالة على أن شبه الشياطين وأباطيلهم قد تنطلي ولو لوقت ما أو لدرجة ما على العامة من المؤمنين، أما الذين أوتوا العلم فهم الراسخون الذين ليس للشيطان عليهم سبيل من أي جهة كان.

فأهل الإخبات إذاً هم أهل العلم بالله تعالى، الراسخون في العلم، الثابتون على اليقين، الذين لا تهز إيمانهم الشبهات ولا الفتن، بل تزيدهم إيمانا بربهم، وخشوعا، وخضوعا، وإخلاصا، واطمئنانا، وتواضعا، وخشية، وانقيادا لما جاءهم من ربهم. والله أعلم.

- وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٤﴾: يأتي تفسيره في المبحث الأخير عند الحديث عن جزاء المخبتين.

*****

(١) تعبير الطبري: "أهل العلم بالله"، وتعبير الشوكاني: "المؤمنين العالمين بالله العارفين به" ينظر: [جامع البيان: ١٨/ ٦٧٠، وفتح القدير: ٢/ ٥٤٧].

المبحث الثالث

صفات المخبتين

وصف الله تعالى عباده المخبتين بأربع صفات؛ في قوله تعالى:

﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الحج: ٣٤].

أولا: مناسبة الآيتين لما قبلهما:

وردت هاتان الآيتان في سورة الحج في سياق حديث القرآن الكريم عن تعظيم المسجد الحرام، وذكر بعض شعائر الحج، وتعظيم شعائر الله تعالى، وأن ذلك من تقوى القلوب.

فبعد أن ذكر الله تعالى أن تعظيم شعائره، من تقديس بيته الحرام، وتعظيم فريضة الحج، وذبح الهدي تقربا إليه عز وجل، .... الخ، من أعظم دعائم التقوى، وأن محل نحر الهدي هو البيت العتيق – أتبع ذلك ببيان أن الذبح وإراقة الدماء تقربا إليه تعالى ليس خاصا بهذه الأمة، وإنما هي سنته عز وجل في الأمم السابقة من أهل الإيمان به سبحانه؛ ليذكروا اسمه عز وجل عليها عبادة وتعظيما وتقديسا؛ امتثالا لأمره، وشكرا له سبحانه على جزيل نعمه.

ثانيا: التفسير والبيان:

قوله تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا ﴾:

– **الأُمّة:** كل جماعة يجمعهم أمر ما إمّا دين واحد، أو زمان واحد، أو مكان واحد، سواء كان ذلك الأمر الجامع تسخيرا أو اختيارا، وجمعها: أمم(١). وقد ورد لفظ الأمة في القرآن الكريم على معان عدة(٢). والمراد به هنا:

(١) المفردات في غريب القرآن: ص٨٦.
(٢) يراجع: بصائر ذوي التمييز: ٢/ ٧٩، ٨٠.

الأمة المؤمنة بالله تعالى، والمعنى: ولكل أُمة من الأمم السابقة من أهل الإيمان بالله عز وجل جعل منسكاً.

– و﴿ مَنسَكًا ﴾: اختلف فيه: فقيل المراد: ذبحا؛ قاله مجاهد وعكرمة(١). وقيل: حجا، أي العبادة نفسها؛ قاله قتادة (٢). وقيل المراد: عيدا؛ قاله ابن عباس(٣). وقيل المراد: موضعا للنسك أي العبادة؛ وهو قول بعض أهل اللغة(٤).

والسبب في اختلاف هذه الأقوال: هو اختلاف القراءات المتواترة الواردة هنا، فقد قرأ حمزة والكسائي وخلف (مَنْسِكًا) بكسر السين في الموضعين(٥). وقرأ باقي العشرة: {مَنْسَكًا} بفتح السين فيهما(٦).

قال أئمة التوجيه(٧):

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان عن مجاهد: ١٨/ ٥٢٨، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم عن عكرمة: ٨/ ٢٤٩٢.

وهو اختيار أكثر المفسرين، يراجع: جامع البيان: ١٨/ ٥٢٧، ٥٢٨، وبحر العلوم للسمرقندي: ٢/ ٤٥٩، والتفسير الوسيط للواحدي: ٣/ ٢٧١، والكشاف للزمخشري: ٣/ ١٥٧، والتفسير الكبير للرازي: ٢٣/ ٢٢٥، وزاد المسير لابن الجوزي: ٣/ ٢٣٦، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ١٢/ ٥٨، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٥/ ٣٧٣، وغرائب القرآن للنيسابوري: ٥/ ٨١، وفتح القدير للشوكاني: ٣/ ٥٣٥، وروح المعاني للألوسي: ٩/ ١٤٧. وغيرها من كتب التفسير.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٨/ ٦٧٩، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم: ٨/ ٢٤٩٢.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٨/ ٦٧٩، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم: ٨/ ٢٤٩٢.

وهو اختيار بعض العلماء، كابن قتيبة في تفسير غريب القرآن: ص٢٩٤، وابن الهائم في التبيان في تفسير غريب القرآن: ص٢٣٩.

(٤) وهو قول الأزهري، والفراء، والنحاس، وبعض المفسرين. يراجع: معاني القرآن للفراء: ٢/ ٢٣٠، ومعاني القرآن للنحاس: ٤/ ٤٠٩، وغريب القرآن للسجستاني: ص٤١٠، والمحرر الوجيز لابن عطية: ٤/ ١٢١، والتحرير والتنوير للطاهر بن عاشور: ١٧/ ٢٥٩، ٢٦٠.

(٥) قوله تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ ﴾[الحج: ٣٤]، وقوله تعالى: ﴿ لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ﴾ [الحج: ٦٧].

(٦) يراجع: التيسير في القراءات السبع لأبي عمرو الداني: ص١٥٧، والمبسوط في القراءات العشر لابن مهران: ص٣٠٧.

(٧) يراجع: حجة القراءات لابن زنجلة: ص٤٧٦، ٤٧٧، والحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي: ٥/ ٢٧٧، ٢٧٨، ومعاني القراءات للأزهري: ٢/ ١٨٠، ١٨١.

من قرأ (منسِكا) بكسر السين، فهو من نَسَك يَنْسِك، والمراد: المكان الذي يُنحر فيه، كما يقال: مجلِس لمكان الجلوس، قال الفراء: هو المكان المألوف الذي يقصده الناس وقتا بعد وقت، والمناسك سميت بذلك.

ومن قرأ (منسَكا) بفتح السين، فهو من نَسَك يَنْسُك، والمراد: المصدر، أي الذبح، وحجتهم: ما روي عن مجاهد في قوله: ﴿ مَنسَكًا ﴾ قال: ذبحا، تقول: نسكتُ الشاةَ: أي ذبحتها، والمعنى: جعلنا لكل أمة أن تتقرب بأن تذبح الذبائح لله، ويدل على ذلك: قوله تعالى: ﴿ لِّيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ﴾ أي: عند ذبحهم إياها، ويقوي المصدر قوله تعالى: ﴿ لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ﴾ [الحج: ٦٧] فصار فعلا.

ورجحوا المعنى على القراءة بالفتح؛ قالوا: لأن المنسك بالفتح لا يخلو من أن يكون مصدرا أو مكانا وكلاهما مفتوح العين؛ لأنه إذا كان الفعل على (فَعَل يفعُل) فالمصدر منه واسم المكان على مَفْعَل بالفتح، نحو: قَتَل يَقْتُل مَقْتَلاً، وهذا مَقْتَلُنا، ودَخَل يَدْخُل مَدْخَلاً، وهذا مَدْخَلُنا. وإذا كان الفعل على (فَعَل يَفْعِل) مثل: جَلَسَ يَجْلِس، فالمصدر منه على مَفْعَل بالفتح، واسم المكان على مَفْعِل بالكسر، مثل: مَغْرِس اسما ومَغْرَس مصدرا، فلهذا كان المعنى على القراءة بالفتح أبلغ؛ لأنها تدل على المصدر والمكان، والكسر يدل على المكان فحسب.

وقد رجح ذلك كثير من المفسرين – وهو قول مجاهد وعكرمة –؛ قالوا: المراد بالمنسك هنا: الذبح وإراقة الدماء، وذلك بدلالة النص؛ قال القرطبي: "والقول الأول أظهر؛ لقوله تعالى: ﴿ لِّيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ﴾ أي: على ذبح ما رزقهم. فأمر تعالى عند الذبح بذكره، وأن يكون الذبح له، لأنه رازق ذلك"(١).

(١) الجامع لأحكام القرآن الكريم: ١٢/ ٥٨. ونحوه قال أبو هلال العسكري في الوجوه والنظائر: ص٤٦٠، والآلوسي في روح المعاني: ٩/ ١٤٧، والشوكاني في فتح القدير: ٣/ ٥٣٥.

"وجائز أن يسمى في اللغة الذبح: نُسُكًا، كقوله تعالى: ﴿ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ﴾ [البقرة: ١٩٦]، وهو الذبح، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ ﴾ [الأنعام: ١٦٢]، ولو كان النسك عبادة كذكر الصلاة وهي عبادة لكان لا يذكر النسك، فدل أنه أراد بالنسك الذبح"(١).

والمعنى: يخبر الله تعالى أنه كما شرع لنا ذبح المناسك وإراقة الدماء تقربا إليه سبحانه، كذلك شرع لكل أُمة من الأمم السابقة من أهل الإيمان به عز وجل شعيرة الذبح وإراقة الدماء تقربا إليه عز وجل.

– ثم أتبع الله تعالى هذا الجعل بعلته؛ بياناً لأنه ليس مقصوداً في نفسه؛ وإنما المقصود الأصليُّ من المناسك تذكُّرُ المعبودِ سبحانه فقال تعالى: ﴿لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ﴾:

أي: ليذكروا اسم الله عز وجل عليها عند الذبح عبادة وتعظيما وتقديسا؛ امتثالا لأمره، وشكرا له سبحانه على جزيل نعمه، والتي منها رزقهم ببهيمة الأنعام. وخصها الله تعالى ببهيمة الأنعام: "لأن من البهائم ما ليس من الأنعام، كالخيل والبغال والحمير"(٢). وبهيمة الأنعام، هي المشروعة في القُرَب(٣).

بيَّن الله تعالى أنه يجب أن يكون الذبح لوجهه عز وجل وعلى اسمه تقدست أسماؤه؛ لأنه هو الخالق الرازق، لا كما كان المشركون يذبحون للأوثان.

– ولما أخبرنا الله تعالى أنه شرع للأمم المؤمنة السابقة مثلما شرع لنا من الذبح تقربا إليه، ليُذكر اسمه عز وجل علي الذبائح عبادة وتعظيما وتقديسا؛ امتثالا لأمره، وشكرا له على فيض نعمه، وجَّه الخطاب إلى الحاضرين، فذكر

(١) تأويلات أهل السنة للماتريدي: ٧/ ٤١٧.
(٢) جامع البيان للطبري: ١٨/ ٦٢٨.
(٣) زاد المسير لابن الجوزي: ٣/ ٢٣٦.

أن إله الكل إله واحد لا شريك له، فقال تعالى: ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟﴾:

والمعنى: فربكم أيها الناس ومعبودكم إله واحد لا شريك له، فأخلصوا العبادة له، ولا تذبحوا تقربا لغيره، فإنه الإله الحق، الخالق الرازق المنعم. "والمراد: الانقياد لله تعالى في جميع تكاليفه، ومن انقاد له كان مخبتا، فلذلك قال بعده: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾﴾"(١).

"والفاءُ لترتيب ما بعدها على ما قبلَها فإنَّ جعلَه تعالى لكل أمة من الأُمم مَنْسكاً ممَّا يدلُّ على وحدانيته تعالى. وإنما قال: ﴿إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ ولم يقل (واحدٌ) لما أنَّ المراد بيان أنه تعالى واحد في ذاته كما أنَّه واحدٌ في إلهيته للكلِّ"(٢).

ومعنى: ﴿فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟﴾: أي: فله عز وجل فانقادوا وأذعنوا بجميع ظواهركم وبواطنكم، وأخلصوا له العبادة، واخضعوا له بالطاعة، واستسلموا لحكمه وأمره، تسليما واطمئنانا، لا إجبارا وإكراها.

"والفاءُ لترتيب ما بعدها من الأمر بالإسلام على وحدانيته تعالى. وتقديم الجار والمجرور على الأمر للقصر، أي: فإذا كان إلهكم إلها واحداً فأخلصوا له العبادة واجعلوها لوجهه الكريم خاصةً، ولا تشوبوها بشيء من الشرك"(٣).

– ولما كان تعظيم شعائر الله تعالى والقيام بتكاليف الإسلام من أعظم دعائم التقوى، وكان ذلك دليلا على كمال الانقياد والإذعان، والخضوع الكامل المطلق، سمى الله تعالى القائمين بها بالمخبتين، وأمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يبشرهم بشارة مطلقة، وفصَّل أوصافهم، لتأكيد منزلتهم وفضلهم؛ **فقال سبحانه:** ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾﴾:

(١) التفسير الكبير للرازي: ٢٣/ ٢٢٥.
(٢) إرشاد العقل السليم لأبي السعود: ٦/ ١٠٦.
(٣) المصدر السابق: نفس الموضع، بتصرف وزيادة.

والبشارة: هي الخبر السار، ويقال لها: البشرى أيضا، وبَشَرته، وأَبشرته وبشَّرته: أخبرته بسارٍّ بسط بشْرَة وجهه، وذلك أن النفس إذا سُرَّت انتشر الدم فيها انتشار الماء في الشجر، وأكثر استعماله في الخير، واستعماله في الشر قيل: مجاز، وقيل: حقيقة، فتكون مشتركا(١).

وهذه البشارة بشارة مطلقة، وهي أبلغ من المفسرَة؛ لأنها مرسلة مع نهاية التخيل(٢)، ليذهب العقل في تخيلها كل مذهب، ومهما تخيل فلن يصل إلى حقيقة المراد، وكيف يتصور نعيم لم تره عين، ولم تسمع به أذن، ولم يخطر على قلب بشر. وهذا يدل دلالة قوية على منزلة المخبتين عند الله تعالى.

وقد اختُلف في المراد بالمخبتين هنا أيضا(٣):

فأخرج البخاري عن ابن عيينة أنهم: المطمئنون(٤). وروى أهل التفسير عن مجاهد أيضا أنهم: المطمئنون، وعن قتادة أنهم: المتواضعون، وعن الحسن أنهم: الخاشعون، وعن يحيى بن سلام أنهم: الخائفون، وعن إبراهيم النخعي أنهم: المخلصون، وعن الكلبي أنهم: الرقيقة قلوبهم، وعن الكلبي ومجاهد أنهم: المجتهدون في العبادة، وعن مجاهد أيضا أنهم: الصالحون المطمئنون، وعن عمرو بن أوس والخليل بن أحمد أنهم: الذين لا يظلمون، وإذا ظلموا لم ينتصروا(٥).

وبضم ما ذكره العلماء من دلالات للفظ الإخبات إلى ما روي عن السلف هنا يتحصَّل لدينا ثلاثة عشر قولا، فقد ذكروا زيادة عما روي هنا: (الإنابة،

(١) يراجع: التبيان في تفسير غريب القرآن لابن الهائم: ص٦٠، وبصائر ذوي التمييز: ٢/ ٢٠٠.
(٢) يراجع: المحرر الوجيز: ٤/ ١٢٢.
(٣) آثرت ذكر الأقوال هنا أيضا كما فعل المفسرون ليعلم إلى حد تشعبت أقوالهم في المراد بالإخبات، حتى نقلوا هذا الاختلاف في كل موضع ذكر فيه. مما يدل على سعة دلالات هذا اللفظ وعدم حصره في معنى بعينه.
(٤) أخرجه البخاري في صحيحه: في كتاب تفسير القرآن، في ترجمة سورة الحج: ٦/ ٩٧، معلقا، وقد وصله ابن حجر في تغليق التعليق على صحيح البخاري: ٤/ ٢٥٩، ٢٦٠.
(٥) يراجع: جامع البيان: ١٨/ ٦٢٨، ٦٢٩، والنكت والعيون للماوردي: ٤/ ٢٥، وتفسير القرآن للسمعاني: ٣/ ٤٣٩، والكشف والبيان للثعلبي: ٧/ ٢٢، ومعالم التنزيل للبغوي: ٣/ ٣٤٠، ٣٤١.

والتضرع، واللين، والخضوع)، وهي جميعا من باب اختلاف التنوع لا اختلاف التضاد، فلا تناقض بينها ولا تضاد ولا تعارض، ويمكن إرادتها جميعا بلا حرج؛ لأنها متقاربة المعاني، وكلها من أعمال القلوب، بل إن اجتماعها دليل على كمال الإيمان ورسوخه عند أولئك القوم، ولا ريب، فقد ورد الوصف بالإخبات في سورة الحج وسط آيات تتحدث عن بعض شعائره، والإنسان في الحج أكثر ما يكون متواضعا وخاضعاً وخاشعاً ومتذللاً ومستسلما لله تعالى.

- ثم ذكر الله تعالى صفات المخبتين فقال عز وجل:

﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمۡ وَٱلۡمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾. وهو متضمن أربع صفات:

أما الصفة الأولى: فهي وجل القلوب:

وذلك في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ ﴾:

والاسم الموصول (الذين) يجوز أن يكون في محل نصب نعتا للمخبتين، أو بدلا منهم، أو بيانا لهم، وأن يكون في محل نصب على المدح، أو في محل رفع على إضمار «هم» وهو مدح أيضاً، ويسميه النحويون «قَطْعاً»(١).

والتعبير بذكر الله تعالى أوسع من أن يراد به ذكر أسمائه تعالى باللسان فحسب، - وما أجله وأعظمه -، ولذا، فهو يشمل مع ذلك ذكر أمره تعالى ونهيه، ووعده ووعيده.

والوجل(٢): الفَزَعُ والخَوْفُ، يقال: وَجِلَ يَوْجَل وَجَلًا بالفتح، وأنا وَجِلٌ من هذا الأمر، وفي الحديث: (فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً وَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ)(٣).

(١) الدر المصون: ٨/ ٢٧٤.

(٢) يراجع: تهذيب اللغة للأزهري: ١١/ ١٣٠، ومجاز القرآن لأبي عبيدة: ١/ ٢٤٠، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٢/ ٤٠٠، ولسان العرب: ١١/ ٧٢٢، مادة (وجل).

(٣) الحديث: أخرجه: ابن ماجه في سننه: كتاب: أبواب السنة، باب: اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين: ١/ ٢٨، ح(٤٢)، وصححه محققه شعيب الأرناؤوط، والحاكم في المستدرك: كتاب العلم: ١/ ١٧٤، ح(٣٢٩)، وصححه الذهبي.

قال القشيري: "الوجل: الخوف؛ من المخافة، والوجل عند الذكر على أقسام: إما لخوف عقوبة ستحصل، أو لمخافة عاقبة بالسوء تختم، أو لخروج من الدنيا على غفلة من غير استعداد للموت، أو إصلاح أُهْبة، أو حياء من الله سبحانه في أمور إذا ذكر اطلاعه سبحانه عليها لما بدرت منه تلك الأمور التي هي غير محبوبة. ويقال: الوجل على حسب تجلى الحق سبحانه للقلب، فهناك وجلٌ له سبب، ووجلٌ بلا سبب، فالأول: مخافة من تقصير، والثاني: معدود في جملة الهيبة. ويقال: الوجل: خوف المكر والاستدراج، وأقربهم من الله قلبا أكثرهم من الله- على هذا الوجه- خوفا"(١).

والمقصود من الوجل ها هنا – والله أعلم – لازمه وثمرته، وهو القبول والطاعة والإذعان والانقياد، لا أصله الذي هو الفزع والخوف، إذ لا معنى لهما بمعزل عن أثرهما ولازمهما.

ومما يدل على كمال اتصاف المخبتين بهذه الصفة:

أنه أُوثر التعبير بـ ﴿إِذَا﴾ وهي تفيد تحقق ما بعدها دون (إن): للدلالة على تحقق الوجل فيهم عند ذكر الله تعالى. وبُنِي الفعل ﴿ذُكِرَ﴾ لغير فاعله للإشعار بأن قلوبهم يحدث لها ذلك الوجل إذا ذكروا الله تعالى أو ذكره غيرهم؛ مما يدل على شدة إيمانهم وخوفهم من ربهم سبحانه. وإيراد ذلك في سياق الشرط والجزاء: إشارة إلى تحقق الجزاء فور تحقق الشرط، فهم بمجرد أن يذكر اسم الله تعالى يتحقق فيهم الوجل، الذي يثمر الانقياد والطاعة والإذعان.

وأُسْنِد الوجل إلى قلوبهم مع أنه ينعكس على كل جوارحهم؛ لأن القلوب هي محل الوجل، ثم يحل وجلها في باقي الجوارح تبعا لتمكنه في القلب.

وأوثر التعبير بالوجل هنا دون الخوف؛ لمناسبته للتعبير بلفظ الجلالة، وما يدل عليه من الهيبة والجلال، ولأنه يحمل من معاني الطمأنينة ما لا يحمله الفزع والخوف، فهو وجل يكتنفه اطمئنان إلى ما عند الله تعالى.

(١) يراجع: لطائف الإشارات للقشيري: ٢/ ٥٤٤.

والمعنى: الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم إذعانا وانقيادا، فكأنهم بين يديه سبحانه واقفون، ولجلاله وعظمته مشاهدون. والمراد والله أعلم: أن هذه حالهم عند ذكر اسمه تعالى، وكذلك عند أمره ونهيه سبحانه، ووعده ووعيده، فبمجرد ذكر اسم الله تعالى يتحرك الوجل في ضمائرهم ومشاعرهم.

وهذه الآية نظير قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [الأنفال: ٢]، وقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ [الزمر: ٢٣].

قال القرطبي: "هذه حالة العارفين بالله تعالى، الخائفين من سطوته وعقوبته، ..... وكذلك وصف الله تعالى أحوال أهل المعرفة عند سماع ذكره وتلاوة كتابه، ومن لم يكن كذلك فليس على هديهم ولا على طريقتهم، قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [المائدة: ٨٣]. فهذا وصف حالهم وحكاية مقالهم، فمن كان مستنا فليستن"(١).

ولعل السر في التعبير بوجل القلوب عند ذكر الله تعالى في هذه الآية وباطمئنانها بذكره عز وجل في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الرعد: ٢٨] هو – والله أعلم –: أن السياق هنا يتحدث عن تمام طاعة المخبتين وانقيادهم وإذعانهم لله تعالى، وهو مقام إجلال وتعظيم، فناسبه التعبير بالوجل الذي يعني الخشية والخوف والرهبة. أما السياق في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ .... ﴾، فهو يتحدث عن الهداية والإضلال(٢) وأنهما لا يكونان إلا من الله

(١) يراجع: الجامع لأحكام القرآن: ١٢/ ٥٩، ٦٠.

(٢) قال تعالى: ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الرعد: ٢٧، ٢٨].

تعالى، فناسبه التعبير بالطمأنينة، أي: الراحة والسكينة اللتان يحدثهما الإيمان في القلوب.

وعليه: فلا تعارض بين الآيتين ولكل منهما مقامها وسياقها الخاص، فالمؤمن الكامل الإيمان يوجل قلبه عند ذكر الله تعالى، وكذلك عند أمره ونهيه سبحانه؛ رهبة وخشية، لما يستحضره من جلال الله تعالى وعظمته، ولما يعلمه من شدة وعيده وعقابه، وهو أيضا يطمئن بذكر الله تعالى رغبة وحبا؛ لما يستحضره من جزيل فضله تعالى وثوابه، وسعة رحمته وعفوه وغفرانه.

ومما سبق يتبين السر في وصف المخبتين بوجل القلوب: وهو إظهار مقامهم في طاعة الله تعالى، والإعلام بأنهم أهل إذعان وانقياد وإجلال وتعظيم لله تعالى. فهم إذا ذكر الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العليا، أو بأمره ونهيه، أو بوعده ووعيده؛ كانوا أكثر الناس طاعة وأشدهم إذعانا وانقيادا وإجلالا لله تعالى، وأسرعهم استجابة وتلبية له عز وجل، امتثالا لأمره واجتنابا لنهيه، ومسارعة في رضوانه سبحانه.

وأما الصفة الثانية: فهي الصبر على ما أصابهم:

وذلك في قوله تعالى: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمۡ﴾:

والصَّبْرُ: هو الْحَبْسُ، يُقَالُ: صَبَرْتُ نَفْسِي عَلَى ذَلِكَ الْأَمْرِ، أَيْ حَبَسْتُهَا[1]. والصَّبْرُ: نقِيض الجَزَع، يقال: صَبَرَ يَصْبِرُ صَبْراً، فَهُوَ صابِرٌ وصَبَّار وصَبِيرٌ وصَبُور، والأُنثى صَبُور أَيضاً، بِغَيْرِ تاء، وَجَمْعُهُ صُبُرٌ. قال الْجَوْهَرِيُّ: الصَّبر حَبْس النَّفْسِ عِنْدَ الجزَع، وَقَدْ صَبَرَ فُلَانٌ عِنْدَ المُصِيبة يَصْبِرُ صَبْراً، وصَبَرْتُه أَنا: حَبَسْته. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم﴾ [الكهف: ٢٨] أَي: احبس نفسك معهم. والتَّصَبُّرُ: تكلُّف الصَّبْرِ[2].

(١) مقاييس اللغة: ٣/ ٣٢٩. مادة: (صبر).

(٢) لسان العرب: ٤/ ٤٣٨، ٤٣٩، ويراجع: المفردات في غريب القرآن: ص٤٧٤. مادة: (صبر).

قال الإمام أحمد رحمه الله: ذكر الله تعالى الصبر في القرآن في نحوٍ من تسعين موضعًا، وهو واجب بإجماع الأمة. وهو نصف الإيمان؛ فإن الإيمان نصفان: نصفٌ صبر، ونصف شُكر(١).

والصّبر على ثلاثة أَنواع إجمالا: صَبْرٌ على طاعة الله، وصبر عن معصية الله، وصبر على امتحان الله. فالأَولان: صبر على ما يتعلق بالكسب. والثالث: صبر على مالا كسب للعبد فيه(٢).

قلت: هذا تقسيم لأنواع الصبر لا ترتيب لدرجاته بحسب الأعلى والأدنى، لأن الصبر عن المعصية قد يكون أشق على الإنسان من الصبر على الطاعة، والصبر على ابتلاء الله تعالى قد يكون أشق على الإنسان من الصبر على الطاعة وعن المعصية.

والمعنى: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ﴾ أي: والصابرين على ما أصابهم من الضراء، كالأمراض والمصائب والمحن وسائر المكاره. فالصبر ها هنا صبر على ابتلاءات الله تعالى، فهو صبر على ما لا كسب للعبد فيه، وهو يقتضي التسليم وضبط النفس، وعدم الجزع، والرضا بما قضاه الله تعالى.

قال القشيري: "أي الخامدين تحت جريان الحكم من غير استكراه ولا تمنى خَرجة، ولا رَوْم فَرْجة، بل يستسلمون طوعا"(٣).

ومما يدل على كمال اتصاف المخبتين بهذه الصفة:

أنه لم يجر أسلوب الآية على نمط واحد، فحيث قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ لم يقل: (وإذا أصابتهم مصيبة صبروا)؛ وإنما جاء التعبير بالاسم : ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ﴾، وذلك للدلالة على الثبوت والدوام؛ نظرا لأن صروف الحياة متقلبة، وفتنها كثيرة ومتنوعة، وذلك يحتاج

(١) بصائر ذوي التمييز: ٣/ ٣٧١.
(٢) المصدر السابق: ٣/ ٣٧٥.
(٣) لطائف الإشارات: ٢/ ٥٤٤.

إلى الثبات على الصبر. فالمخبتون ثابتون على الصبر في كل أحوالهم، لا تزعزعهم الشدائد ولا المحن. وفيه إشارة أيضا إلى اختصاصهم بالصبر، فكأنهم هم الصابرون وحدهم، من شدة اتصافهم بذلك.

ومنه أيضا: أن الصبر ها هنا جاء مقيدا بالصبر على ما أصابهم: ولعل السر في ذلك هو بيان أن أولئك (المخبتين) قد بلغوا في الإيمان رتبة عالية حتى كَمُل صبرهم؛ فاتصفوا بكل أنواع الصبر: فهم الصابرون على طاعة الله؛ يدل عليه قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ . وهم الصابرون عن معصية الله؛ ضرورة أنهم من أهل الطاعة المبشرون من الله تعالى بالبشرى المطلقة. وهم الصابرون على ابتلاء الله؛ يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ ﴾.

ولا ريب أن أعظم ثمار هذا الصبر هي: الطاعة والاستسلام والانقياد لله رب العالمين، وهي من أجل معاني الإخبات.

وأما الصفة الثالثة: فهي إقامة الصلاة:

وذلك في قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ ﴾:

والمراد بإقامة الصلاة: إدامة الإتيان بها في أوقاتها، والمحافظة عليها كاملة كما أمر الشارع؛ قال الله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ ﴾[المؤمنون: ١، ٢]، وقال تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [المعارج: ٢٣]. وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [المعارج: ٣٤]. يقال: قام الشيءُ أي: دام وثَبُت؛ من قولك: قام الحق أي: ظهر وثبت، ويُقَال: قَامَ بِالْأَمر وَأقَام الْأَمرَ، إِذا جَاءَ بِهِ معطيا حُقُوقه، ويقال: قامت السوق إذا نفقت، وتداول الناس فيها البيع والشراء، وإقامتها نفاقها، لأنها إذا حوفظ عليها

كانت كالشيء النافق الذي تتوجه إليه الرغبات، ويتنافس فيه المحصلون، وإذا أضيعت كانت كالشيء الكاسد الذي لا يُرغب فيه(١).

والمعنى: والذين يديمون إقامة الصلاة في أوقاتها، ويحافظون عليها كاملة كما شرع الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، وهذا شامل للصلوات الخمس المفروضة، ولسائر النوافل.

ومما يدل على كمال اتصاف المخبتين بهذه الصفة:

أنه عُبِّر عن الأداء بالإقامة؛ لأن الأمر في الصلاة ليس مجرد أداء ظاهري وحسب، وإنما إقامتها على الوجه الأكمل؛ من الخشوع والخضوع والإخلاص، وغيرها، فقام بالشيء معناه: أداه على أكمل وجه وأحسنه. وأشار الزمخشري إلى حكمة أخرى هي: "أنّ القيام بعض أركانها، كما قالوا: سَبَّح، إذا صلى، لوجود التسبيح فيها(٢). والأول أولى والله أعلم.

وعُبِّر بالجملة الاسمية لإفادة الثبوت والدوام، فهم دائموا إقامة الصلاة والمحافظة عليها، ثابتون على ذلك. ولإفادة الاختصاص أيضا، فكأنهم هم المصلون وحدهم، من شدة مداومتهم ومحافظتهم عليها.

ومن ثمرات إقامة الصلاة والمحافظة عليها: دوام الخشية والخشوع والاطمئنان والإخلاص والتواضع، وهي من أجل معاني الإخبات.

وأما الصفة الرابعة: فهي الإنفاق مما رزقهم الله:

وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ :

والرِّزْقُ: مصدر رَزَقَ يَرْزُقُ رِزْقاً ورَزْقاً، فالرَّزْقُ بالفتح المصدر، وبالكسر الاسم، وجمعه أرزاق، والرِّزْقُ: العطاء، وارْتَزَقَ الجندُ، أي: أخَذوا أرزاقهم، أي عطاءهم، وَالرِّزْقُ: عَطَاءُ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، يُقَالُ رَزَقَهُ اللَّهُ رِزْقًا(٣).

(١) يراجع: لسان العرب: ١٢/ ٤٩٦ – ٥٠٦، مادة: (قوم)، والكشاف للزمخشري: ١/ ٣٩، ٤٠، والتفسير الكبير: ٢/ ٢٧٤، والجامع لأحكام القرآن: ١/ ١٦٤، والبحر المحيط: ١/ ٦٥.

(٢) الكشاف: ١/ ٤٠.

(٣) يراجع: معجم مقاييس اللغة: ٢/ ٣٨٨، مادة (رزق).

والرَّزَّاقُ: من أسماء الله تعالى؛ لأَنه يَرزُق الْخَلْقَ أَجمعين، وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ الأَرْزاق وأَعطى الْخَلَائِقَ أَرزاقها وأَوصَلها إِلَيْهِمْ. والأَرزاقُ نوعان: ظَاهِرَةٌ للأَبدان كالأَقْوات، وَبَاطِنَةٌ لِلْقُلُوبِ والنُّفوس كالمَعارِف وَالْعُلُوم، وأَرزاقُ بَنِي آدَمَ مَكْتُوبَةٌ مُقدَّرة لَهُمْ، وَهِيَ وَاصِلَةٌ إِليهم؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ [هود: ٦]، وقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٧، ٥٨][(١)].

فالرزق ليس مقصورا على المال، وإن كان هو أول ما يتبادر عند ذكره؛ لأنه يشمل كل نعمة أنعم الله تعالى بها على الإنسان ظاهرة أو باطنة، من المال، والتوفيق للطاعة، والصحة والعافية، والعلم، والأمن، والتحلي بمكارم الأخلاق، والجاه، والوقت، .....الخ.

ومعنى: ﴿يُنفِقُونَ﴾: يُخْرِجُون، والإنفاق: إخراج المال من اليد، وهو مصدر أنفق ينفق إنفاقا ونفقة، فهو منفق، يقال: أنفق المال: صرفه، والنفقة: ما أنفقت، والجمع: نِفاق (بالكسر)، ونفقات. ورجل مِنفاق: أي كثير النفقة[(٢)].

والمراد بالإنفاق هنا: إما الزكاة المفروضة لاقترانها بالصلاة المفروضة، أو مطلق ما ينفق في سبيل الله تعالى، لوروده مطلق اللفظ، من غير قرينة تخصصه، وهو الراجح في رأيي. فالمخبتون أهل بذل وعطاء وسخاء، من كل ما رزقهم الله تعالى إياه، من نعمه الظاهرة والباطنة.

ومما يدل على كمال اتصاف المخبتين بهذه الصفة:

(١) يراجع: الصحاح للجوهري: ٤/ ١٤٨١، ولسان العرب: ١٠/ ١١٥، مادة (رزق).

(٢) الصحاح للجوهري: ٤/ ١٥٦٠، وتهذيب اللغة للأزهري: ٩/ ١٥٦، ومقاييس اللغة لابن فارس: ٥/ ٤٥٤، ٤٥٥، ولسان العرب لابن منظور: ١٠/ ٣٥٧، ٣٥٨، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: ٥/ ١٠٤، مادة (نفق).

التعبير بالمضارع ﴿يُنفِقُونَ﴾ للدلالة على تجدد الإنفاق تجددا يشي بالاستمرار، فالمخبتون يتجدد منهم الإنفاق والبذل والعطاء مما رزقهم الله تعالى.

ومنه أيضا: عدم تقييد وجوه الإنفاق أو تحديدها، لتكون الآية عامة في كل وجوه الإنفاق المشروعة، وهذا يدل على تمام اتصافهم بتلك الصفة.

والمعنى: ومن الذي أعطيناهم ومنحناهم من فضلنا، من النعم الظاهرة والباطنة، يعطون ويبذلون، باستمرار دون انقطاع، في كل وجوه الخير والبر والصلة، الواجبة والمندوبة، امتثالا لأمرنا، ورغبة فيما عندنا، فلا يضنون ولا يبخلون.

* والسر في وصف المخبتين بتلك الصفات الأربع:

الدلالة على قوة إيمانهم وكمال يقينهم، وأنهم أهل الإذعان التام، والاطمئنان المحض، والانقياد المطلق لله تعالى، ولهذا أكرمهم سبحانه بالبشارة المطلقة. والله أعلم.

وقيل: لأن وصفهم قد ورد في سياق الحديث عن بعض شعائر الحج، وهي مشتملة على نزع الثياب والتجرد من المخيط وكشف الرأس، والتلبس بأفعال شاقة لا يعلم معناها إلا الله تعالى، وكل ذلك مؤذن بالاستسلام والانقياد والتواضع لله تعالى؛ حيث يخرج المسلم فيها عن مألوفه إلى أفعال تعبدية غير معتادة؛ فلذلك سماهم الله تعالى بالمخبتين ووصفهم بتلك الأوصاف الجليلة(١).

قلت: والأول أولى، لأنه أعم، فالمخبتون أهل انقياد وإذعان ويقين، في الحج وفي غيره. والله أعلم

* والسر في الاقتصار على هذه الصفات الأربع: أنها جمعت أصول أنواع العبادات، فالذكر إشارة إلى العبادات القولية، والصبر إشارة إلى العبادات القلبية، والصلاة إشارة العبادات البدنية، والإنفاق إشارة إلى العبادات المالية،

(١) ذكره أبو حيان في البحر المحيط: ٧/ ٥٠٨.

وعليه تكون صفات المخبتين متضمنة بأبلغ أسلوب وأوجزه الإشارة إلى أنواع العبادات كلها. والله أعلم.

* وجاء ترتيب صفاتهم على هذا النحو ترتيبا معجزا؛ إذ إن كل صفة منها داعية لما بعدها موصلة إليها، في تدرج بديع، فإن القلوب إذا وجلت من ذكر الله تعالى كانت على الصبر أقدر، وإذا تجملت بالصبر كانت على الصلاة أحفظ وأدوم، وإذا تلذذت بالصلاة كانت على الإنفاق أقدم وأجود. والله أعلم.

وبعد: هذه صفات المخبتين، وهي صفات عظيمة جليلة، ذكرها الله تعالى في أوجز لفظ، وأبلغ أسلوب، وهي صفات لا تتحقق بكمالها إلا في أهل العلم به سبحانه، الذين اطمأنوا بما عنده تعالى، فخشعت له قلوبهم، وخضعت له رقابهم، وتواضعت له نفوسهم، وانقادوا إليه، وتضرعوا بين يديه، وأنابوا إليه إنابة المخلصين.

ولعظم مقام الإخبات ومنزلته عند الله تعالى دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه أن يجعله مخبتا؛ أخرج الترمذي وابن ماجه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم يدعو يقول: **(اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي لَكَ شَاكِرًا، لَكَ ذَاكِرًا، لَكَ رَاهِبًا، لَكَ مِطْوَاعًا، إِلَيْكَ مُخْبِتًا، ... الحديث)**[(١)].

وذكر بعض المفسرين أن الآية نزلت في الخلفاء الراشدين الأربعة: أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم[(٢)]، لكنه بغير سند، وعلى فرض صحته، فإن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، والوصف بالإخبات ليس خاصا بهم رضي الله عنهم، ولهذا وُصِفَ به بعض الصحابة والتابعين؛ فمن ذلك:

(١) الحديث: أخرجه أبو داود في سننه: أبواب فضائل القرآن، باب: ما يقول الرجل إذا أسلم: ٢/ ٨٣، ح(١٥١٠)، وصححه الألباني، والترمذي في سننه: في أبواب الدعوات: ٥/ ٥٥٤، ح(٣٥٥١)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

(٢) يراجع: المحرر الوجيز: ٤/ ١٢٢، والجامع لأحكام القرآن: ١٢/ ٥٩.

ما أخرجه الحاكم في المستدرك من ثناء معاذ بن جبل رضي الله عنه على أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه بعد دفنه يوم وفاته، وفيه: (يَا أَبَا عُبَيْدَةَ، لأُثْنِيَنَّ عَلَيْكَ وَلا أَقُولُ بَاطِلا أَخَافُ أَنْ يَلْحَقَنِي بِه مِنَ اللَّهِ مَقْتٌ: كُنْتَ وَاللَّهِ – مَا عَلِمْتُ – مِنَ الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا، .... وَكُنْتَ وَاللَّهِ مِنَ الْمُخْبَتِينَ الْمُتَوَاضِعِينَ الَّذِي يَرْحَمُونَ الْيَتِيمَ وَالْمِسْكِينَ وَيَبْغُضُونَ الْخَائِنِينَ الْمُتَكَبِّرِينَ)[(١)].

ومنه أيضا: ما أخرجه ابن أبي شيبة وابن المبارك والطبراني: (كَانَ الرَّبِيعُ بْنُ خُثَيْمٍ إِذَا دَخَلَ عَلَى عَبْدِ اللهِ ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ إِذْنٌ حَتَّى يَفْرُغَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ صَاحِبِهِ، وكان عَبْدُ اللهِ يَقُولُ له: يَا أَبَا يَزِيدَ، لَوْ رَآكَ رَسُولُ اللهِ لَأَحَبَّكَ، وَمَا رَأَيْتُكَ إِلَّا ذَكَرْتُ الْمُخْبِتِينَ)[(٢)].

أسأل الله تعالى أن يجعلنا من المخبتين الذين رضي عنهم وأرضاهم.

****

(١) الأثر: أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين: في كتاب مناقب الصحابة، باب: ذكر مناقب أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه: ٣/ ٢٩٥، رقم (٥١٤٨)، وسكت عنه الذهبي في التلخيص.

(٢) الأثر: أخرجه ابن المبارك في الزهد: ص٥٧، رقم (١٧٦)، وابن أبي شيبة في مصنفه: ٧/ ٢٢١، رقم (٣٥٥١٠)، والطبراني في المعجم الكبير: ١٠/ ١٥١، رقم (١٠٢٨٦). وقال الهيثمي في مجمع الزوائد [١٠/ ٢٣، رقم (١٦٤٤١)]: "رواه الطبراني ورجاله ثقات".

المبحث الرابع

جزاء المخبتين

إن من عظيم فضل الله تعالى وكرمه أنه سبحانه رتَّب على الطاعة جزاء؛ مع أنه تعالى لا يجب عليه شيء لأحد من خلقه، وإن نعمة واحدة من نعمه تعالى لا يكفيها قضاء العمر في سجدة شكرا له عز وجل؛ فهو سبحانه المتفضل بالإيجاد والإمداد، ثم هو سبحانه المنعم في النهاية بالثواب الجزيل؛ فسبحانه من إله عظيم كريم يمن بالخير ثم يثيب عليه.

فإن أثاب سبحانه فبمحض فضله، وإن عاقب فبمحض عدله، لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون، لكنه تعالى قد وعد بالثواب على الطاعة، وتوعد بالعقاب على المعصية، وهو سبحانه لا يخلف الميعاد.

وأما ما يوهم ظاهره أن جزاء الله تعالى على سبيل المقابلة أو المعاوضة؛ من مثل قوله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [الزخرف: ٧٢]، فإنه لا يجوز بحال حمله على هذا الظاهر مطلقا، وإن له توجيها يليق بجلال الله تعالى.

فالباء في قوله تعالى: ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ ليست للمقابلة أو المعاوضة، وإنما هي للسببية، وهي سببية عادية ظاهرية، متوقفة على توفيق الله تعالى ومعونته وهدايته، وليست سببية حقيقية؛ لأن الله تعالى هو الذي يخلق السبب والمسبب، وهو الذي يعين ويوفق، فدخول الجنة إنما هو بمحض فضل الله تعالى ورحمته، وهذا لا ينافي الطمع في ثوابه تعالى، والنجاة من عقابه.

"ومعنى قوله تعالى: ﴿أُورِثْتُمُوهَا ﴾: أعطيتموها عطية هنيئة لا تعب فيها ولا منازعة، بفضل محض من الله تعالى؛ لأن إيمان العبد بربه وطاعته إياه لا يوجب عقلا ولا عدلا إلا نجاته من العقاب الذي من شأنه أن يترتب على الكفران والعصيان، وإلا حصول رضى ربه عنه، ولا يوجب جزاء ولا عطاء،

لأن شكر المنعم واجب، فهذا الجزاء وعظمته مجرد فضل من الله على عبده"(١).

ولهذا قال صلى الله عليه وسلم: (**«فَإِنَّهُ لا يُدْخِلُ أَحَدًا الجَنَّةَ عَمَلُهُ»** قَالُوا: وَلاَ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: **«وَلا أَنَا، إِلا أَن يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِمَغْفِرَةٍ وَرَحْمَةٍ»**)(٢)، فنفي صلى الله عليه وسلم ما قد تتوهمه بعض النفوس من أن الجزاء من الله تعالى على سبيل المعاوضة أو المقابلة؛ كالمعاوضات التي تكون بين الناس في الدنيا، وأثبت أن دخول الجنة إنما هو برحمة الله تعالى وفضله، وأن العمل سبب عادي للجزاء، لا للوجوب أو الاستحقاق.

وقد تفضل الله تعالى فوعد المخبتين بالجزاء العظيم في الدنيا والآخرة، وأخبر سبحانه عن ذلك الجزاء في ثلاث صور:

<u>الصورة الأولى: البشرى المطلقة:</u>

وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾:

فإنه لما كان تعظيم شعائر الله تعالى والقيام بتكاليف الإسلام من أعظم دعائم التقوى، وكان ذلك دليلا على كمال الانقياد والإذعان، والخضوع الكامل المطلق لله تعالى؛ لا جرم سمى الله تعالى القائمين بها بالمخبتين، وأمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يبشرهم بشارة مطلقة، قبل أن يُفَصِّل أوصافهم، ويبين منزلتهم؛ **فقال تعالى:** ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾﴾، ثم ذكر الله تعالى في الآية التالية أوصافهم، فأبان عن منزلتهم وفضلهم، وكمال إيمانهم؛ إذ كانت جملة أوصافهم شاهدة بصلاح ظاهرهم وباطنهم، وتلك منزلة عظيمة.

والبشارة: هي الخبر السار، ويقال لها: البشرى أيضا، وبَشَرته، وأَبشرته وبشَّرته: أخبرته بسارٍّ بسط بشْرَة وجهه، وذلك أن النفس إذا سُرَّت انتشر الدم

(١) يراجع: التحرير والتنوير: ٨-ب/ ١٣٤، ١٣٥.

(٢) الحديث: أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الرقاق، باب: القصد والمداومة على العمل: ٨/ ٩٨، ح(٦٤٦٧) عن عائشة رضي الله عنها.

فيها انتشار الماء في الشجر، وأكثر استعماله في الخير، واستعماله في الشر قيل: مجاز، وقيل: حقيقة، فتكون مشتركا(١).

وقد وردت هذه البشارة مطلقة مرسَلة؛ قال المفسرون: "وهي أبلغ من المفسرَة؛ لأنها مرسَلة مع نهاية التخيل"(٢)، فهي إذاً في الدنيا والآخرة. أما في الدنيا: فلا أحد يستطيع تصور مقدار بشارة مقيدة من الملك سبحانه، فكيف وهي مطلقة غير محددة ولا مقيدة بشيء؟!، إنها لو كانت من ملك من ملوك الدنيا لما وسع خيال المرء أن يحيط بها، فما بالنا وقد جاءت من ملك الملوك سبحانه!!!، إنها إذاً فوق تصور البشر.

وأما في الجنة: فالأمر أشد عظمة، لأنه متعلق بعالم الغيب الذي لم يُر، ولم تعرف قوانينه ونواميسه، إنها إذاً ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر؛ وهذا يدل دلالة عظيمة على منزلة المخبتين عند الله تعالى. قال الله عز وجل في الحديث القدسي: قَالَ اللَّهُ: **(أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ)** (٣). فحَذْف المبشر به هنا للتعظيم والتفخيم، وللدلالة على أنه فوق الوصف، كأنه شيء لا يمكن بيانه.

ومما يؤكد عظم البشارة المطلقة، وأنها فوق الوصف أنها لم ترد في القرآن الكريم إلا في مواقف الإيمان الكامل، والطاعة التامة، والإذعان والامتثال؛ ليُبَشر أهلها بجزاء غير محدود(٤). وهذه بعض الشواهد مشفوعة ببيان موجز:

---

(١) يراجع: التبيان في تفسير غريب القرآن لابن الهائم: ص٦٠، وبصائر ذوي التمييز: ٢/ ٢٠٠.

(٢) يراجع: المحرر الوجيز: ٤/ ١٢٢.

(٣) الحديث: أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب بدء الخلق، باب: ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة: ٩/ ١٤٤، ح(٧٤٩٨) عن عائشة رضي الله عنها.

(٤) وردت البشرى مطلقة في تسعة مواضع من القرآن الكريم: في قوله تعالى: (وبشر المؤمنين) في: [البقرة: ٢٢٣، والتوبة: ١١٢، ويونس: ٨٧، والصف: ١٣] وقوله تعالى: (وبشر الصابرين) في: [البقرة: ١٥٥]، وقوله تعالى: (وبشر المخبتين) في: [الحج: ٣٤]، وقوله تعالى: (وبشر المحسنين) في: [الحج: ٣٧]، وقوله تعالى: (فبشر عباد) في [الزمر: ١٧]. وهذا جانب مهم يحتاج إلى دراسة مستقلة.

– **قوله تعالى:** ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ وقد ورد في أربعة مواضع:

أولها: قوله تعالى: ﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾ ﴾ [البقرة: ٢٢٣].

وقد ورد بشارة لأولئك الذين تلقوا ما كلفهم الله تعالى به بالطاعة والامتثال؛ في أمر اختيار الزوج المؤمن، واختيار الزوجة المؤمنة، وفي أمر الحيض، ومعاشرة النساء، وفي أمر إتيان النساء في موضع الحرث دون غيره، وما ينبغي أن يكون بين الزوجين من الأنس والمودة، وما يجب أن يتخلقوا به من تقوى الله تعالى، والاستعداد للقائه، إلى آخر ما تضمنته الآيات من توجيهات إلهية تضمن للأسرة المسلمة السعادة في الدنيا والآخرة؛ فناسب أن يبشر أولئك الذين امتثلوا، والتزموا الطاعة الكاملة في كل ذلك بشارة مطلقة مرسلة؛ عطاء بغير حساب؛ ليكون ذلك أدعى لحرصهم على التزام تلك التوجيهات الإلهية التي يقوم عليها بناء الأسرة المسلمة، التي هي نواة بناء المجتمع المسلم.

وثانيها: قوله تعالى: ﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّآئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [التوبة: ١١٢].

والسياق هنا واضح جدا؛ فالموصوفون بهذه الصفات الجليلة العظيمة، والمقامات الرفيعة، هم أهل الإيمان الكامل، والطاعة التامة، فناسب أن يبشرهم الله تعالى بشارة مطلقة بغير حدود.

وثالثها: قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [يونس: ٨٧].

حيث ورد في مشهد من مشاهد قصة موسى عليه السلام مع فرعون عليه اللعنة، بشارة لتلك الثلة القليلة التي أعلنت إيمانها بالله تعالى؛ فاختارته رغم الأخطار، وأذعنت له رغم المحنة، ولم تبال بطغيان فرعون وملائه؛ وما كان ذلك إلا بتوفيق الله تعالى ومَنِّه وكرمه، إنها عناية الله تعالى التي لاحظتهم،

فانتشلتهم من براثن الكفر إلى نور الإيمان؛ قال تعالى: ﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ [يونس: ٨٣ – ٨٦]؛ فناسب أن يبشر أولئك المؤمنون الذين هانت الدنيا في أعينهم فباعوها واشتروا ما عند الله تعالى، حيث ضحوا بأرواحهم، وحملوها على أكفهم في مواجهة هذا الطاغية المجرم؛ فكان ذلك دليلا واضحا على كمال إيمانهم؛ فناسب أن يبشروا من الله تعالى ببشارة مطلقة تثلج صدورهم، وتطمئن قلوبهم، وتعِدُهم بما لا يمكن أن يتصوروه أو يجول بخواطرهم.

ورابعها: قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [الصف: ١٠ – ١٣].

حيث وردت البشرى المطلقة هنا لأهل الإيمان الكامل والطاعة التامة، فهم الذين آمنوا بالله ورسوله، وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، وإن كانت الآيات قد صورت جانبا من ثوابهم، إلا أن ثوابهم فوق ما ذُكر؛ وإلا ما فائدة تلك البشرى المطلقة!!!، إنها لتشير إلى مزيد فضل الله تعالى عليهم بما لا يمكنهم تصوره أو تخيله.

وعلى هذا جاءت بقية المواضع .... فلتراجع في سياقاتها.

وعليه: فإن بشرى المخبتين من الله تعالى بشرى مطلقة إنما تدل على مزيد فضله تعالى عليهم، بهذا الجزاء العظيم المكنون المدخر، وأنه جزاء على سبيل الحقيقة لا المجاز، وأنه أعلى درجة مما ذكر مفصلا؛ لأنه يستحيل في حق الله تعالى أن يكون وعده لمجرد المبالغة، وذلك يدل على كمال محبة الله

تعالى للمخبتين، وتمام رضاه سبحانه عنهم. وتلك منزلة لا تكون إلا للأصفياء الأتقياء، الذين رضي عنهم ورضوا عنه.

والصورة الثانية: جزاء الدنيا: وهو الهداية إلى الصراط المستقيم:

وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ ﴾. والشاهد فيه: ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ ﴾.

والهداية: هي الدلالة بلطف، والمراد بها هنا: هداية التوفيق والإرشاد(١). والمراد بالذين آمنوا هنا: كل الذين آمنوا، ويدخل فيهم: الذين أوتوا العلم (أهل الإخبات) دخولا أوليا؛ لأنهم المذكورون في الآية، وهداية الله تعالى في الدنيا تشمل كل مؤمن يأخذ بأسبابها ويتعرض لنفحاتها.

وقد "أجمعت الأمة من أهل التأويل على أن الصراط المستقيم: هو الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه، وهو كذلك في لغة العرب"(٢).

وهذا الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه هو ما جاء به الإسلام من العقيدة الحقة والعبادة الخالصة والمعاملة الحسنة والآداب العالية والأخلاق الفاضلة التي تتحقق بها سعادة الدارين.

وفي تنكير "صراط مستقيم": دلالة قوية على تفخيمه وتعظيمه، وأنه فوق الوصف، وفي استعارة الصراط المستقيم للطريق الواضح القويم تصوير للمعقول في صورة المحسوس لتأكيده وتجليته وبيانه؛ زيادة في تأكيد هدايتهم وإكرامهم. وفي وصف الصراط بأنه مستقيم دلالة على كمال هدايتهم وتمامها وتمكنها منهم؛ بحيث لا يترك للشيطان باب يدخل منه إليهم.

أضف إلى ذلك تأكيد هذا الجزاء بعدة مؤكدات، ومنها: (إنَّ)، واسمية الجملة، ودخول اللام على خبرها، والتعبير باسم الفاعل (هاد) الدال على الثبوت، أي أن هذه الهداية ستكون ثابتة ملازمة لهم في كل وقت وحين.

(١) يراجع: المفردات في غريب القرآن: ص٨٣٥.
(٢) جامع البيان: ١/ ١٧٠.

واصطفاء التعبير بلفظ الجلالة (الله) وما يحمله من معاني الجلال والتعظيم، لاستدعاء المهابة في النفوس، تناسبا مع عظم هذا العطاء الإلهي.

كل ذلك للمبالغة في تأكيد هذا الجزاء العظيم، إثلاجا لصدورهم، وطمأنة لأفئدتهم، وتثبيتاً لقلوبهم، وحثًّا لغيرهم ممن يرجى منهم الإيمان، وتعريضاً بمن في قلوبهم مرض ومن قست قلوبهم؛ بأن الله تعالى لن يخذل عباده المؤمنين في مواقف الابتلاء والاختبار، بل يهديهم ويثبتهم ويصلح بالهم.

والمعنى: وإن الله لهاد الذين آمنوا إلى الحق القويم، والطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه؛ بتقوية إيمانهم، وتوفيقهم وإنارة بصائرهم؛ ليميزوا بين الحق والباطل، فلا يؤثر فيهم دخان الفتن، ولا غبار الشبهات، ويرون الحق جليا واضحا كالشمس في كبد السماء.

إن هذا الجزاء العظيم يحمل من معاني العناية والرعاية الإلهية لهم ما يحمل، إنه وعدٌ كريمٌ من الله تعالى بأنه لن يترك عباده المؤمنين في مواقف المحن يتخبطون أو يتحيرون، وإنما يهديهم إلى الحق القويم، ويثبتهم عليه، وينير لهم الدرب، حتى لا تضل أفهامهم أو تزل أقدامهم.

ولعظم هذا الجزاء الإلهي جعله الله تعالى مضمون أول دعاء ورد في قرآنه العظيم، في أول سورة من كتابه الكريم؛ حيث قال تعالى معلما عباده طلب الهداية في كل وقت وحين: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ ﴾ [الفاتحة: ٦]، وافترض الله علينا قراءة هذه السورة الكريمة في كل ركعة من الصلاة، فتقرأ على أقل تقدير في الصلوات الخمس سبع عشرة مرة، فيتكرر هذا الدعاء بتكرر قراءتها سبع عشرة مرة في كل يوم وليلة.

ففي سورة الفاتحة جعله الله تعالى دعاء وطلبا ورجاء، وفي آية الباب جعله الله تعالى وعدا وجزاء؛ فكأن الله تعالى أجاب دعائهم وحقق لهم رجاءهم، الذي طالما تضرعوا به وألحوا في طلبه.

والصورة الثالثة: جزاء الآخرة: وهو الخلود في الجنة:

وذلك في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخۡبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [هود: ٢٣]. والشاهد فيه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

وهذا الجزاء هو غاية الأماني، ومبلغ المُنَى. والمعنى: أولئك المنعوتون بتلك النعوت الجليلة الشأن العظيمة القدر؛ من الإيمان، وعمل الصالحات ظاهرا وباطنا؛ أصحاب الجنة الملازمين لها، هم فيها دائمون أبدا، حيث مالا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

والتعبير باسم الإشارة ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ للدلالة على تكريم أولئك المؤمنين المخبتين، والإعلام بعلو منزلتهم عند الله تعالى. والتعبير بلفظ ﴿ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ ﴾ للدلالة على تمكين الله تعالى لهم منها، كأنهم يملكونها. وتقديم المتعلق ﴿ فِيهَا ﴾ في قوله تعالى: ﴿هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ للدلالة على التخصيص، فكأنها خاصة بهم وحدهم. وفي ذلك من الدلالة على فوزهم في الآخرة ما فيه؛ ليطمئن أهل الإخبات إلى ما أعده الله تعالى لهم، وليقلع أهل الإعراض والصدود عما هم فيه.

وبهذا جمع الله تعالى للمخبتين بين جزاء الدنيا وجزاء الآخرة؛ فضلا منه تعالى وكرما، وهذا دليل واضح على عظيم منزلتهم عنده سبحانه. جعلنا الله تعالى من عباده المخبتين.

*****

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، الذي بنعمته تتم الصالحات، وبنور هديه تتبدد الظلمات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رفيع الدرجات، وعلى آله وصحبه أنجم الهدايات، ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين.

وبعد،،

فقد انتهيت بحمد الله تعالى وتوفيقه من هذه البحث: **(الإخبات في القرآن الكريم، دراسة تفسيرية موضوعية)** وتوصلت إلى جملة من النتائج والتوصيات.

أما النتائج فهي ما يأتي:

أولا: أن لفظ "الْخَبْتِ" يراد به في أصل اللغة: (السهل أو الوادي الواسع، المطمئن من الأرض، المنخفض أو العميق، الذي لا نبات فيه، أو الذي ينبت بعض أشجار الشوك). فاستعمال "الخبت " في أصل لغة العرب استعمال مادي خالص.

ثانيا: أن القرآن الكريم نقل لفظ الإخبات من هذا الاستعمال المادي الخالص إلى استعمال معنوي خالص، فأضحى حقيقة شرعية في كثير من معاني القلوب؛ فأعطاه القرآن بُعداً جديداً، وأضفى عليه ظلالا من المعاني والدلالات؛ حيث دل على: "الخشوع، والاطمئنان، والتواضع، والتضرع، والإخلاص، والإنابة، والخوف، والخضوع".

ثالثا: أنه ليس من الصواب قصر الإخبات على شيء من هذه المعاني، لأنها من باب اختلاف التنوع، وفي ذلك فوائد كثيرة، منها إثراء المعنى وتعظيمه، ولأجل هذا تعددت أقوال العلماء في المراد به منها.

رابعا: أن مصطلح "الإخبات" يشترك مع تلك المصطلحات جميعا في أنه عمل من أعمال القلوب، يحمل معاني الانقياد التام، والإذعان المطلق، والطاعة الكاملة، والاطمئنان لحسن الجزاء عند الله تعالى.

خامسا: أنه توجد علاقة وثيقة بين الأصل اللغوي للفظ الإخبات، وبين دلالاته التي استعمل فيها في القرآن الكريم، تتمثل في الاستواء والاطمئنان والإذعان والاستسلام.

سادسا: أن منزلة الإخبات من الإيمان عظيمة جليلة، فهي كمنزلة القلب من الجسد؛ فكما أن الجسد لا يحيا بغير القلب، فكذلك الإيمان لا يقوم إلا بأعمال القلوب؛ ذاك لأن لفظ "الإخبات" يدل على كثير من أعمال القلوب، وأعمال القلوب جزء من الإيمان، لا تنفك عنه بحال.

سابعا: أن العلاقة بين الإيمان والعمل بجناحيه (عمل القلوب، وعمل الجوارح) علاقة تلازم حقيقي، فلا يقوم الإيمان إلا بالعمل، ولا قيمة للعمل بغير الإيمان، ولهذا ربط الله تعالى بينهما في القرآن الكريم في أكثر من سبعين موضعا. وكذلك العلاقة بين أعمال القلوب، وأعمال الجوارح علاقة تلازم حقيقي أيضا، فلا يقبل عمل الجوارح بغير عمل القلوب، ولا قيمة لعمل القلوب بغير عمل الجوارح.

ثامنا: أن أهل الإخبات هم أهل العلم بالله تعالى، العارفون به سبحانه، الراسخون في العلم، الثابتون على اليقين، الذين لا تهز إيمانهم الشبهات ولا الفتن، بل تزيدهم إيمانا بربهم، فهم ليسوا مطلق العلماء، وإنما هم أهل الطبقة العليا منهم، وأن هذا القول يرشحه ويقويه دلالات كثيرة، ذكرتها في موطنها.

تاسعا: أن الله تعالى وصف عباده المخبتين بأربع صفات؛ أولها: وجل القلوب، والثانية: الصبر على ما أصابهم، والثالثة: إقامة الصلاة، والرابعة: الإنفاق مما رزقهم الله، وتضمنت الآيات من الدقائق ما يدل على كمال اتصافهم بتلك الصفات.

عاشرا: أن السر في وصف المخبتين بتلك الصفات الأربع هو: الدلالة على قوة إيمانهم وكمال يقينهم، وأنهم أهل الإذعان التام، والاطمئنان المحض، والانقياد المطلق. ولهذا أكرمهم الله تعالى بالبشارة المطلقة.

حادي عشر: أن السر في الاقتصار على هذه الصفات الأربع هو: أنها جمعت أصول أنواع العبادات، فالذكر: إشارة إلى العبادات القولية، والصبر: إشارة إلى العبادات القلبية، والصلاة: إشارة العبادات البدنية، والإنفاق: إشارة إلى العبادات المالية. وعليه تكون صفات المخبتين متضمنة بأبلغ أسلوب وأوجزه الإشارة إلى أنواع العبادات كلها.

ثاني عشر: أن صفاتهم جاءت على ترتيب معجز؛ إذ إن كل صفة منها داعية لما بعدها موصلة إليها، في تدرج بديع، فإن القلوب إذا وجلت من ذكر الله تعالى كانت على الصبر أقدر، وإذا تجملت بالصبر كانت على الصلاة أحفظ وأدوم، وإذا تلذذت بالصلاة كانت على الإنفاق أقدم وأجود.

ثاني عشر: أنه من عظيم فضل الله تعالى وكرمه أنه عز وجل تفضل فوعد المخبتين بالجزاء العظيم في الدنيا والآخرة، وأخبر سبحانه عن ذلك الجزاء في ثلاث صور:

الصورة الأولى: البشرى المطلقة، ومما يؤكد عظمتها وأنها فوق الوصف أنها لم ترد في القرآن الكريم إلا في مواقف الإيمان الكامل، والطاعة التامة، والإذعان والامتثال.

والصورة الثانية: جزاء الدنيا، وهو الهداية إلى الصراط المستقيم، وهو وعدٌ كريمٌ من الله تعالى بأنه لن يترك عباده المؤمنين في مواقف الفتن يتخبطون، وإنما يهديهم إلى الحق القويم ويثبتهم عليه، وينير لهم الدرب، حتى لا تضل أفهامهم أو تزل أقدامهم.

والصورة الثالثة: جزاء الآخرة: وهو الخلود في الجنة، وهو غاية الأماني، ومبلغ المُنَى، حيث مالا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

وبهذا جمع الله تعالى للمخبتين بين جزاء الدنيا وجزاء الآخرة؛ فضلا منه تعالى وكرما، وهذا دليل واضح على عظيم منزلتهم عنده سبحانه.

ثالث عشر: أن مشتقات لفظ "الإخبات" لم ترد في القرآن الكريم إلا في ثلاثة مواضع، لكننا – على عادة القرآن الكريم – وجدنا إعجازا في النظم،

وكمالا في الموضوع، وتماما في المعنى، وفيضا من الدقائق والهدايات، فسبحان من هذا كلامه!!! إن هذا لأثر من آثار إعجازه، ودليل من أدلة بيانه وإيجازه.

ولعظم مقام الإخبات ومنزلته عند الله تعالى دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه أن يجعله مخبتا.

أما التوصيات: فأوصي بالآتي:

أولا: أن يتوجه اهتمام الباحثين في التفسير الموضوعي نحو موضوعات القرآن الكريم التي قل ورودها، فإنها – على خلاف ما قد يُظَن – كاملة في الموضوع، وتامة في المعنى، وتحمل من الهدايات ما لا يستغنى عنه.

ثانيا: عمل دراسة تفسيرية عن البشارة المطلقة في القرآن الكريم، فإنه موضوع جليل ويستحق أن يفرد بالبحث.

والله تعالى أسأل أن ينفعني بهذا العمل، وأن ينفع به كل من يقرؤه، وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم، والحمد لله في الأولى والآخرة. وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. والله تعالى أعلم.

*****

ثبت المصادر والمراجع

أولا: القرآن الكريم ..... تبارك الذي نزله

ثانيا: كتب التفسير وعلوم القرآن:

١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: للإمام أبي السعود، ط/ دار إحياء التراث العربي– بيروت – بدون تاريخ.
٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للإمام البيضاوي ت: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط/ دار إحياء التراث العربي – بيروت، الأولى – ١٤١٨ هـ.
٣) البحر المحيط في التفسير: للإمام أبي حيان، صدقي جميل، ط/ دار الفكر – بيروت – الأولى ١٤٢٠هـ.
٤) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد لأبي العباس أحمد بن عجيبة، ت: أحمد عبد الله القرشي رسلان، نشر: الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة، ١٤١٩ هـ.
٥) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: لمجد الدين الفيروز أبادي، تحقيق: محمد علي النجار. ط/ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، الثالثة ١٤١٦هـ ١٩٩٦م.
٦) التبيان في تفسير غريب القرآن لابن الهائم، ت: د ضاحي عبد الباقي محمد، ط/ دار الغرب الإسلامي – بيروت، الأولى – ١٤٢٣هـ.
٧) التحرير والتنوير: للطاهر بن عاشور، ط/ الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.
٨) تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين للإمام الشوكاني، ط: دار القلم – بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٩٨٤م.
٩) التفسير البسيط للإمام الواحدي، نشر: عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ.
١٠) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين، ت: أبو عبد الله حسين بن عكاشة – محمد بن مصطفى الكنز، الناشر: الفاروق الحديثة – مصر/ القاهرة، الأولى، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.

١١) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، ت: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية، الثالثة – ١٤١٩هـ.
١٢) تفسير القرآن العظيم: للحافظ ابن كثير تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط/ دار طيبة للنشر والتوزيع، الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.
١٣) تفسير القرآن الكريم لابن القيم، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، ط/ دار ومكتبة الهلال – بيروت، الأولى، ١٤١٠هـ.
١٤) تفسير القرآن لأبي المظفر السمعاني ت: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض – السعودية، الأولى، ١٤١٨هـ– ١٩٩٧م.
١٥) التفسير الكبير: للإمام الرازي، ط/ دار إحياء التراث العربي، بيروت، الثالثة ١٤٢٠هـ.
١٦) تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) لأبي منصور الماتريدي، ت: د. مجدي باسلوم، ط/ دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، الأولى، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥م.
١٧) التيسير في القراءات السبع لأبي عمرو الدانين ت: اوتو تريزل، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الثانية، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
١٨) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: للإمام الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط/ مؤسسة الرسالة، بيروت، الأولى، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.
١٩) جامع البيان في تفسير القرآن، للإمام الإيجي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الأولى، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م.
٢٠) الجامع لأحكام القرآن: للإمام القرطبى، تحقيق: أحمد البردوني، ط/ دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٨٤هـ ، ١٩٦٤م.
٢١) الجواهر الحسان في تفسير القرآن لأبي زيد الثعالبي، ت: محمد علي معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الأولى – ١٤١٨هـ.
٢٢) حجة القراءات لابن زنجلة، ت: سعيد الأفغاني، الناشر: دار الرسالة.

٢٣) الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسيّ، ت: بدر الدين قهوجي – بشير جويجابي، الناشر: دار المأمون للتراث – دمشق / بيروت، الثانية، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣م.
٢٤) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: للسمين الحلبي، تحقيق د/ أحمد محمد الخراط، ط/ دار القلم، دمشق.
٢٥) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: لأبي الفضل شهاب الآلوسي البغدادي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، ط/ دار الكتب العلمية – بيروت، الأولى، ١٤١٥هـ.
٢٦) زاد المسير في علم التفسير لأبي الفرج بن الجوزي، ت: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الأولى – ١٤٢٢ هـ.
٢٧) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي، ت: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، الأولى، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م.
٢٨) غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري، ت: الشيخ زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت، الأولى – ١٤١٦ هـ.
٢٩) غريب القرآن المسمى بنزهة القلوب، للسجستاني، ت: محمد أديب عبد الواحد جمران، الناشر: دار قتيبة – سوريا، الأولى ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م.
٣٠) غريب القرآن لابن قتيبة، ت: أحمد صقر، الناشر: دار الكتب العلمية، ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م.
٣١) غريب القرآن لابن قتيبة، ت: أحمد صقر، الناشر: دار الكتب العلمية، السنة: ١٣٩٨ هـ – ١٩٧٨م.
٣٢) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: للإمام الشوكاني، ط/ دار ابن كثير، بيروت، الأولى، ١٤١٤هـ.
٣٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: للإمام الزمخشري، ط/ دار الكتاب العربي – بيروت، الثالثة – ١٤٠٧هـ.
٣٤) الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي، ت: الإمام أبي محمد بن عاشور، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الأولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.

٣٥) لباب التأويل في معاني التنزيل: للإمام الخازن، تصحيح: محمد علي شاهين، ط/ دار الكتب العلمية – بيروت، الأولى – ١٤١٥هـ.
٣٦) لطائف الإشارات للإمام القشيري، ت: إبراهيم البسيوني، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، الطبعة: الثالثة.
٣٧) المبسوط في القراءات العشر لابن مهران، ت: سبيع حمزة حاكيمي، الناشر: مجمع اللغة العربية – دمشق، ١٩٨١م.
٣٨) مجاز القرآن لأبي عبيدة، ت: محمد فواد سزگين، الناشر: مكتبة الخانجى – القاهرة، الطبعة: ١٣٨١هـ.
٣٩) محاسن التأويل: للإمام القاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط/ دار الكتب العلمية، الأولى، ١٣٧٦هـ ١٩٥٧م.
٤٠) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: للإمام ابن عطية، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، ط/ دار الكتب العلمية، لبنان، الأولى، ١٤٢٢هـ
٤١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل للإمام النسفي، ت: يوسف علي بديوي، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، الأولى، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.
٤٢) معالم التنزيل في تفسير القرآن للإمام البغوي، ت: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الأولى ١٤٢٠ هـ.
٤٣) معاني القراءات لأبي منصور الأزهري، الناشر: مركز البحوث في كلية الآداب – جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، الأولى، ١٤١٢هـ – ١٩٩١م.
٤٤) معاني القرآن لأبي جعفر النحاس، تحقيق: محمد علي الصابوني، ط/ جامعة أم القرى – مكة المكرمة، الأولى، ١٤٠٩هـ.
٤٥) معاني القرآن وإعرابه: للإمام أبي إسحاق الزجاج تحقيق: د/ عبد الجليل عبده شلبي، ط/ عالم الكتب، بيروت، الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م.
٤٦) معاني القرآن: للإمام أبي زكريا الفراء، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي وآخرين، ط/ الدار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، الأولى.
٤٧) معترك الأقران في إعجاز القرآن للإمام السيوطي، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م.

٤٨) المفردات في غريب القرآن: للإمام الراغب الأصفهانى، ت: صفوان عدنان الداودي، ط/ دار القلم، بيروت، ١٤١٢هـ.
٤٩) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: لبرهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، ط/ دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
٥٠) النكت والعيون: للإمام أبي الحسن الماوردي، ت: السيد عبد المقصود بن عبد الرحيم، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.
٥١) الوسيط في تفسير القرآن المجيد: لأبي الحسن الواحدي ت: عادل عبد الموجود، وآخرين، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م.

ثانيا: كتب الحديث الشريف وشروحه والتراجم والطبقات:

٥٢) تقريب التهذيب لابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد عوامة، ط/ دار الرشيد، سوريا، الأولى، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.
٥٣) دلائل النبوة للبيهقي دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، لأبي بكر البيهقي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الأولى – ١٤٠٥ هـ.
٥٤) الزهد والرقائق لابن المبارك، ت: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.
٥٥) سنن ابن ماجه، للإمام ابن ماجه، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، ط/ دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي، بدون تاريخ.
٥٦) سنن أبي داود للإمام أب داود، ت: شعَيب الأرنؤوط – محَمَّد كامِل قره بللي، الناشر: دار الرسالة العالمية، الأولى، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م.
٥٧) سنن الترمذي للإمام أبي عيسى الترمذي، ت: أحمد محمد شاكر وآخرون، ط/ دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ.
٥٨) سنن الدارقطني للإمام الدار قطني، ت: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، الأولى، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م.
٥٩) السنن الكبرى للإمام البيهقي، ت: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الثالثة، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م.

٦٠) صحيح البخاري: للإمام البخاري، تحقيق: د/ محمد زهير بن ناصر الناصر، ط/ دار طوق النجاة، الأولى، ١٤٢٢هـ.
٦١) الفائق في غريب الحديث والأثر للزمخشري، ت: علي محمد البجاوي –محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار المعرفة – لبنان، الطبعة: الثانية.
٦٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط/ دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩هـ.
٦٣) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للإمام الهيثمي، ت: حسام الدين القدسي، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.
٦٤) المستدرك على الصحيحين للإمام أبي عبد الله الحاكم، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى، ١٤١١هـ، ١٩٩٠م.
٦٥) مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط/ مؤسسة الرسالة، الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١م.
٦٦) مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، لأبي بكر البزار، ت: محفوظ الرحمن زين الله، وعادل بن سعد، الناشر: مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة، الأولى.
٦٧) مصنف ابن أبي شيبة (الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار) لأبي بكر ابن أبي شيبة، ت: كمال يوسف الحوت، الناشر: مكتبة الرشد – الرياض، الأولى، ١٤٠٩هـ.
٦٨) المعجم الكبير للطبراني، تحقيق فريق من الباحثين، الطبعة الأولى.

ثالثا: كتب التعريفات والفروق والوجوه والنظائر:

٦٩) التعريفات: للإمام علي بن محمد الجرجاني، تحقيق: جماعة من العلماء، ط/ دار الكتب العلمية، الأولى، بيروت، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.
٧٠) التوقيف على مهمات التعاريف: لزين الدين المناوي القاهري، ط/ عالم الكتب، القاهرة، الأولى، ١٤١٠هـ–١٩٩٠م.
٧١) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية لأبي البقاء الكفوي الحنفي، تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري، ط/ مؤسسة الرسالة – بيروت.

٧٢) معجم الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري، ت: الشيخ بيت الله بيات، ط/ مؤسسة النشر الإسلامي، الأولى، ١٤١٢هـ.
٧٣) الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري، ت: محمد عثمان، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الأولى، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م.

رابعا: كتب اللغة والمعاجم واصطلاحات الفنون:

٧٤) أساس البلاغة للإمام الزمخشري، ت: محمد باسل عيون السود، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.
٧٥) تاج العروس من جواهر القاموس لمحمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، ط/ دار الهداية.
٧٦) تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط/ دار إحياء التراث العربي، بيروت، الأولى، ٢٠٠١م.
٧٧) جمهرة اللغة لأبي بكر ابن دريد، ت: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الأولى، ١٩٨٧م.
٧٨) شرح الكافية الشافية، لأبي عبد الله جمال الدين ابن مالك، ت: عبد المنعم أحمد هريدي، الناشر: جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بمكة المكرمة، الطبعة: الأولى.
٧٩) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للإمام الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط: دار العلم للملايين، بيروت، الرابعة، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.
٨٠) القاموس المحيط: للفيروزآبادي تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط/ مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الثامنة، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥م.
٨١) كتاب العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي، ت: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.
٨٢) لسان العرب، للإمام محمد بن بن منظور الأفريقي المصري، ط/ دار صادر، بيروت، ط/١، بدون تاريخ.

٨٣) مختار الصحاح: لزين الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط/ المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
٨٤) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن قيم الجوزية. ت: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الثالثة، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م.
٨٥) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لأحمد بن محمد علي الفيومي، ط: المكتبة العلمية، بيروت.
٨٦) معجم مقاييس اللغة: لابن فارس ت: عبد السلام محمد هارون، ط/ دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.
سادسا: كتب العقيدة والرقاق والآداب والسلوك:
٨٧) إحياء علوم الدين للإمام الغزالي، ط/ دار المعرفة – بيروت، بدون تاريخ.
٨٨) الأربعين في أصول الدين للإمام الغزالي، ت: عبد الله عبد الحميد عرواني، ط/ دار القلم، بيروت، الأولى، ١٤٢٤هـ، ٢٠٣٣م.
٨٩) جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي، ت: شعيب الأرناؤوط – إبراهيم باجس، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، السابعة، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.
٩٠) الرسالة القشيرية للإمام القشيري، ت: الإمام الدكتور عبد الحليم محمود، الدكتور محمود بن الشريف، الناشر: دار المعارف، القاهرة.
٩١) شرح السنة للإمام البغوي، ت: شعيب الأرنؤوط– محمد زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي – دمشق، بيروت، الثانية، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.
٩٢) شرح السنة للإمام المزني، ت: جمال عزون، الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية – السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.
٩٣) الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض، الناشر: دار الفيحاء – عمان، الطبعة: الثانية – ١٤٠٧ هـ.
٩٤) العقيدة رواية أبي بكر الخلال للإمام أحمد بن حنبل، ت: عبد العزيز عز الدين السيروان، الناشر: دار قتيبة – دمشق، الأولى، ١٤٠٨هـ.